الإعادة الثالثة للعمر

في السينما ... يمكن إعادة تصوير اللقطة أو المشهد
أو حتى الفيلم مرّات ومرّات ...
ولكن هل يمكن إعادة العمر؟!

دمشق ١٩٩٤ – ١٩٩٩

المشهد الأول

(الخشبة مظلمة، يسمع من بعيد صوت آلة عرض سينمائية، يتبعه ظهور تدريجي لصوت موسيقى أحد أفلام شارلي شابلن القديمة، يسمع صوت دحرجة شيء ثقيل على دواليب معدنية، ثم صوت مكتوم لسقوط هذا الشيء تسمع صرخات قريبة ومقتضبة متتالية)

ص. مساعدة المخرج: صمت!

صوت المخرج: صمت!

أصوات مختلفة: صمت... هدوء...صمت

ص. مساعدة المخرج: استعداد

صوت المخرج: استعداد

أصوات مختلفة: استعداد

(تسود لحظة صمت تسطع بعدها إضاءة قوية تضيء منتصف الخشبة، حيث تقبع حقيبة سفر ضخمة وضعت عليها لاصقات شركات طيران وأعلام دول مختلفة. يستمر صوت ميكانيكي لكاميرا سينمائية، فور ظهور الإضاءة تظهر مساعدة المخرج بملابس عصرية ولكنها مبالغ فيها/فستان سهرة، أو تنورة قصيرة جداً

وبلوزة تكشف أغلب الجزء الأعلى/ إنها تحمل كلاكيت مبالغاً بحجمه، تتوقف عند الحقيبة، ترفع عصا الكلاكيت وتضرب بها سطح الكلاكيت وتقول بصوت مرتفع وأجش):

مساعدة المخرج: الإعادة الثالثة للعمر، المشهد الأول، اللقطة الأولى، «العودة»

(يسمع صوت من خارج الخشبة).

صوت المخرج: ستوب... الحقيبة الثانية... أغبياء... نسيتوها

مساعدة المخرج: حالاً... حالاً مايسترو

(تنحني مساعدة المخرج وتمحو عن الكلاكيت رقم (١) لتكتب بالطبشور رقم (٢) بدلاً منه. تتدحرج حقيبة سفر ثانية، إنها أصغر حجماً من الأولى وقد علقت عليها قبعة رياضية ومظلة نسائية مغلقة، تتوقف بالقرب من الحقيبة الأولى الملقاة على الأرض تعود الممثلة للوقوف كما في المرة الأولى):

مساعدة المخرج: الإعادة الثالثة للعمر، المشهد الأول، اللقطة الأولى (العودة).

(تخرج مساعدة المخرج وهي تبالغ بأسلوب مشيها، أثناء خروجها يسود الظلام على الخشبة يسمع صوت طرق مكتوم، تفتح الحقيبة الكبيرة مصدرة صريراً خاصـــاً مضخماً... تتصاعد إضاءة تحيط بموقع الحقيبتين فقط، يعاد إغلاق الحقيبة ثم تفتح مجدداً

ليظهر وجه رشا، المختبئة داخلها، يفتح الغطاء وتقف رشا، إنها فتاة في حوالي الخامسة والعشرين من عمرها، ترتدي بنطالاً وسترة جينز وقد عقدت على عنقها منديلاً حريرياً، تتمطى وتخطو خارج الحقيبة، تقوم ببعض الحركات الرياضية وكأنها تلين عظامها، ما أن تقول جملتها الأولى حتى يتلاشى الصوت الميكانيكي للكاميرا).

رشـــا : الحمد لله على السلامة... لم تكن السفرة متعبة ولا مريحة.

صوت المخرج:(يصرخ) ستوب!... ليس هذا الحوار المكتوب.

(تنظر الممثلة حولها بدهشة وكأنها تبحث عن مصدر الصوت، تبتسم وهي لا تخفي دهشتها):

رشـــا : من قال كلمة «حوار»؟

صوت المخرج: (يصرخ) ستوب... ارجعي للدور يا آنسة...

رشـــا : دور؟ حوار؟

صوت مساعدة المخرج:(بعملية) نوقف التصوير؟

صوت المخرج: (يصرخ) أوقفوا التصوير....

رشـــا : تصوير؟ من سمح لكم؟!

ص. مساعدة المخرج: ألا تريدين أن تكملي التمثيل يا آنسة؟

رشـــا: لا... لا أريد أن أكمّل التمثيل... ومن اليوم فصاعداً أنا المخرج وأنا من سيقود التصوير... مفهوم؟!

صوت المخرج:(يصرخ) ستوب! ألغوا المشهد، سننتقل للمشهد السابع فوراً... ألغوا مشاهدها... احذفوها... مزقوها من السيناريو.. أحرقوها (فجأة بهدوء) استراحة.

ص. مساعدة المخرج: (بعملية) استراحة... أطفئوا الإضاءة، اسحبوا المعدات... خذوا ثيابها إن كانت للفيلم... هيا بسرعة... خذوا كل شيء الإكسسوار، الحقائب... كل شيء...

(تنتفض رشا وتسحب المظلة لتشهرها وكأنها تدافع عن نفسها بها، تظهر مساعدة المخرج والممثل وهو بملابس عمال، يتوقف الاثنان مقابل رشا بهدوء، كأنهما يراقبان ثورة غضبها، تتابع رشا قولها بانفعال):

رشـــا : ليس لكم عندي شي... الحقائب وما بداخلها... كلها لي... ابتعدوا عني... لن أسمح لأحد أن يأخذ مني ولا شعرة... ومن اليوم فصاعداً لن يفرض أحد علي شيئاً... ولن أعطي شيئاً غصباً عني... مفهوم!؟...

(يتهامس الاثنان ويمضيان خارجين دون أية ردة فعل، ما زالت رشا متحفزة، تنتبه إلى أن الحقيبة مفتوحة، تنقض عليها وتغلقها، توقفها إلى جانب الحقيبة الأخرى، تقف أمام الحقيبتين وقد هدأت قليلاً ولكن يبدو أنها لا تدري ماذا تفعل، يدخل الممثل [ما زال بملابس العمال] إنه يدفع كنبة لها دواليب، يضعها في مكان خارج دائرة الضوء، ينظر داخل مجموعة من

الأوراق، يصحح وضع الكنبة، في هذه الأثناء تدخل مساعدة المخرج، إنها تحمل ضوءاً عمودياً [لمبدير]، تضعه بالقرب من الكنبة، في هذه الأثناء يخرج الممثل ويعود فوراً وهو يدفع طاولة عليها تلفزيون وفيديو، يضعها في العمق ويدير الجهاز قليلاً بحيث يصبح مقابل الكنبة، تأتي مساعدة المخرج بشريط كهربائي وتضع التوصيلات الكهربائية داخله، يقوم الممثل بتجريب جهازي الفيديو والتلفزيون، يظهر على الشاشة فيلم رسوم متحركة، مساعدة المخرج تجرب الضوء بإشعاله وإطفائه عدة مرات، الممثل يجلب طاولة صغيرة عليها بعض المجلات والكتب ويضعها أمام الكنبة، مساعدة المخرج تجلب إناء زهور فارغاً، تضعه فوق التلفزيون ولعبة [الدب] تضعها على الكنبة.
رشا تراقب كل هذا وقد انكمشت إلى جانب حقائبها، تحاول السؤال أو الاعتراض ولكن الاثنين لا يعيرانها التفاتاً، يطفئان الضوء والأجهزة، الممثل يعانق مساعدة المخرج من خصرها ويمضيان وهما يتمتعان ويتضاحكان وسط دهشة رشا، ما أن يمضيا حتى تقترب وتشعل الضوء، فتطفأ الإضاءة المسرحية، تنظر حولها وكأنها تتعرف على المكان وتتذكره، تتمتم):

رشـــا : غرفتي... غرفتي... لم تتغير... كل شيء مثلما كان...

(يسمع صوت عجلات تتدحرج، الصوت مضخّم قليلاً، يظهر الممثل وهو يدفع مشجباً خشبياً علقت عليه بعض الملابس، يضعه مقابل الكنبة ويهم بالمضي، يقرأ في ورقة بيده ويأخذ من المشجب معطفاً رجالياً قديماً، تندفع رشا وراءه وتصرخ، يتوقف):

رشــا : معطف أبي... إلى أين تأخذه؟!

الممثل : غير موجود في القائمة...

(ينظر إليها لأول مرة، يتفحص المعطف بازدراء).

الممثل : عتيق ومهتري... احتفظي به إن أردت... رائحته غريبة...

(يرمي بالمعطف على الكنبة ويمضي خارجاً وهو يطلق صفيراً من فمه، تختطف رشا المعطف تتشممه وتمتم):

رشــا : لم يتبق غير رائحة الغبار فيه ولمَ لا... الدنيا تبدأ أحياناً برائحة الغبار.

(تعلق رشا المعطف على المشجب وتجلس على حقيبتها باسترخاء وتمتم):

رشــا : الحمد لله على السلامة... أخيراً...غرفتي... كنبتي... بيتي... بلدي... وطني... رجعت...

(تدريجياً ومع الكلمات الأخيرة يسود الظلام).

المشهد الثاني

(ترتفع الإضاءة لنجد أن الديكور لم يتغير رغم أن المكان أصبح أقرب إلى غرفة جلوس وقد أضيفت إليه بعض التفاصيل المنزلية، أصيص نبات منزلي، طاولة صغيرة عليها إبريق شاي وكأس، كرسي عليه بعض الملابس الداخلية النسائية، تظهر مساعدة المخرج، إنها ترتدي ملابس عصرية، تركض عبر الخشبة في مقدمتها، تختفي لتظهر على الفور وهي تحمل لعبة لطفل رضيع تلفه بالملاءة أثناء عودتها دون أن تتحدث مع الممثل الذي ظهر لحظة اختفائها الأول، إنه يرتدي ملابس شخصية وليد، بنطال جينز وقميص بمربعات، يمضي إلى الجهة الأخرى ويعود على الفور وهو يحمل باقة زهور فخمة وحقيبة كتف، تظهر الممثلة، إنها بنفس الملابس ولكنها تحمل الآن الكلاكيت، تضرب الممثل بالكلاكيت على مؤخرته وكأنها تداعبه، خلال هذا يسمع لغط تتخلله مصطلحات سينمائية، الممثلة تركع على الأرض وتكتب على الكلاكيت بالطبشور).

أصوات: ...لا...لا... أنت محق... علبة الخام... "اللمبة" احترقت... أين فرشاة المكياج... الإكسسوار كامل... استراحة... العدسة... رأسي تنفجر... أنا فنان... أين الكلاكيت؟

(يسمع صوت المخرج يتبعه صوت مساعدة المخرج، الصوتان أوضح من بقية الأصوات وأكثر صرامة).

صوت المخرج:جاهزون!؟...

(يسود الصمت، تدخل مساعدة المخرج، تتقدم إلى منتصف مقدمة المسرح):

صوت المخرج: أرضيت الممثلة؟!

ص. مساعدة المخرج: اعتذرت لها.

ص. المخرج: استعداد.

ص. مساعدة المخرج: (بعملية) استعداد

(ترفع الكلاكيت وتقول بصوت حاد مصطنع):

مساعدة المخرج: الإعادة الثالثة للعمر، المشهد الرابع والستون: «بحثاً عن مكان»،

(تقرع عارضة الكلاكيت وعلى الفور تخرج، تنخفض الإضاءة تدريجياً ويسود الصمت ثم الظلام).

(من الظلام تسمع صرخة ترحيب نسائية وحين ترتفع الإضاءة تظهر رشا، إنها بملابس منزلية، تستقبل منى التي تحمل رضيعاً على يديها).

رشـــا : منى... أنتِ؟

منـــى : رشا؟.. الحمد لله على سلامتك.
رشـــا : (تشير إلى الرضيع) ما هذا؟!
منـــى : ولي العهد... جاء بعد بنتين، سمّيت إحداهما رشا، على اسمك.

(تقبل الاثنتان بعضهما بعضاً، تتفحص رشا وجه الرضيع بإزاحة الملاءة عن وجهه، تجذب رشا منى من يدها وتأخذ منها حقيبة اليد لتضعها على الطاولة، تنظر إليها بود):

منـــى : أخيراً عدت؟ يا خائنة... كل هذا الغياب؟
رشـــا : كتبت لك عن ظروف الدراسة والعمل.
منـــى : وأنـــا لم أضيع وقتي ... ثلاثة أولاد والرابع على الطريق.
رشـــا : رابع؟! أكيد أنت مجنونة.
منـــى : يمكن هناك امرأة وظيفتها أن تنجب أولاد وامرأة ثانية تصنع بالفن أمجاد.
رشـــا : ليس لدي طموح للأمجاد... المهم أن أصنع أفلاماً أكثر مما أنجب أولاداً.
منـــى : لن تسبقيني... سأضعه في غرفة النوم؟!
رشـــا : لا يوجد غير هذه الغرفة؟ لنذهب إلى المطبخ.

(تضع منى الرضيع على الكنبة وتخرج بعد أن أخذت علبة السجائر والقداحة وتشعل سيجارة مما يدهش رشا)

رشـــا : تدخنين وأنت حامل؟!

منـــى : كنت أدخن وأنا ألد أيضاً...

(تنخفض الإضاءة حتى يسود الظلام) (يسمع صوت المخرج قاسياً)

صوت المخرج: لا تتوقفوا... المشهد الثاني فوراً.

ص. مساعدة المخرج: استعداد... صمت... كاميرا.

(على الفور يرن جرس هاتف، يسمع صوت رفع سماعة الهاتف ثم صوت رشا، ترتفع الإضاءة حيث نرى رشا بملابس منزلية مغايرة عن سابقتها، وقد ربطت رأسها بمنديل، الكنبة فارغة والغرفة أكثر ترتيباً من المشهد السابق).

رشـــا : ألو... ألو... ألا تريدون أن تتكلموا؟!

(تضع رشا السماعة وتتوجه إلى المطبخ ولكنها قبل أن تخرج يسمع رنين جرس الباب، تعود إلى حيث الباب، تختفي في الظلام، يسمع صوت صرير فتح الباب).

ص. رشا: (بدهشة) وليد؟ لم أتوقع زيارتك.

ص. وليد: ليس من المعقول أن أترك فرصة عودتك يا أحلى بنت بهذه "الضيعة"؟!

(تظهر رشا وخلفها وليد، إنه يحمل الحقيبة على كتفه وبيده باقة الزهور الفخمة، وليد يرتدي ملابس أنيقة ولكنها بسيطة وأقرب للرياضية).

وليـــد : الورد لك...

رشـــا : هذا أول ورد يصلني... شكراً لك يا ملك الذوق...

وليـــد : حلوة هذه: ملك الذوق... لكن أنت ملكة الجمال...

رشـــا : بهذا الشكل؟ تسمح لي بخمس دقائق لأحسّن مظهري...
وليـــد : وحتى عشر دقائق... أقرأ بها السيناريو السخيف...
(يخرج وليد سيناريو من حقيبة الظهر، يجلس على الكنبة، تبدو الدهشة على رشا وقد توقفت على بعد خطوات، ينظر إليها وقد دهش لأنها توقفت وتنظر إليه متفحصة).
رشـــا : سخيف؟ كيف عرفت ولم تقرأه؟
وليـــد : لأن المؤلف سخيف.
رشـــا : ولماذا ستقرأ له؟!
وليـــد : لأني سأكون بطل المسلسل.
رشـــا : (تتابع بسخرية) السخيف!!
وليـــد : لا تدققي على الكلمات.. وجودي سيجعله مسلسلاً عظيماً.
رشـــا : هل تقول ذلك بجدية..؟
وليـــد : أنا لا أمزح في العمل.
رشـــا : هذا ليس عمل... اعذرني هذا غرور.
وليـــد : تحتاجين وقتاً حتى تعرفي قيمة كل واحد بهذا البلد... تعبت على نفسي حتى أصبحت نجماً.
رشـــا : مثّلت مسلسلات سخيفة..؟
وليـــد : وغير سخيفة أيضاً... عزيزتي رشا... تغيرت أمور كثيرة في غيابك، صرنا نفهم أكثر... وعمليين أكثر... نعرف قيمة كل شي... وأهم شي تعلمناه هو قيمة المال والشهرة.

رشـــا : تتكلم بصيغة الجمع... يعني أنت لست حالة خاصة؟ الكل هكذا أصبحوا؟!

وليــد : وأنا أفضلهم على الأقل بقي عندي شيء من القيم.

(تخرج رشا من الغرفة)

ص. رشا: قيم؟!

وليــد : يا رشا... الصراع يتطلب وسائل مختلفة وأحياناً لا أخلاقية... وأقول ذلك بكل صدق... أحياناً الضرب تحت الحزام عمل أخلاقي... وإلا تداسين بأقدامهم.

ص. رشا: هذا الكلام سمعته كثيراً... لكن ليس منك.

وليــد : أنا مضطر أن أقوله لك لأني أعزك ولا أريدك أن تصدمي.. اللعبة شرسة.

(تظهر رشا وقد بدّلت ملابسها بملابس بسيطة ولكن أنيقة)

رشـــا : شرسة؟ لكن ربما لها أصول... قواعد... مبادئ.

وليــد : طبعاً... ومن أول مبادئها... التغزل بأية امرأة جميلة مثلك.

(تنخفض الإضاءة تدريجياً، ينهض وليد ويتجه إلى رشا، تتراجع هي ويتقدم هو باتجاهها بخطوات بطيئة... يصل الاثنان إلى باب الدخول وحين يسود الظلام يصدح صوت رشا بصرخة غاضبة):

رشـــا : أبعد يدك عني... وليد... أنت... أنت...

المشهد الثالث

(ترتفع الإضاءة تدريجياً، يسمع لغط مجموعة التصوير، في منتصف الخشبة توضعت طاولة عليها ملفات وأوراق وكأس شاي وراديو من الأنواع القديمة، تظهر مساعدة المخرج، إنها بملابس رسمية: تنورة، جاكيت، قميص أبيض، تضع كرسياً وراء الطاولة وترتب بعض موجوداتها، تخرج قلماً وتضعه على الطاولة، تمضي خارجة، من الجهة الثانية تظهر رشا، إنها تحمل كيساً شفافاً فيه [الكعك] وترتدي ملابس عصرية محتشمة، تقف في بقعة الضوء تنظر حولها وكأنها تتساءل أين تضع الكيس وأين تقف... اللغط مستمر وتسمع أصوات طرق وموسيقى بعيدة وبعض الكلمات الاحترافية، تظهر مساعدة المخرج، إنها تحمل الكلاكيت، تبعد رشا عن طريقها ولكن الأخيرة تبادرها بسؤال خجل ومتردد):

رشـــا : أضعه على الطاولة؟

مساعدة المخرج: على الطاولة يا عزيزتي... وامسكي الكلاكيت لن تؤلمك يدك.

رشـــا : أنا؟ أنا مخرجة.

مساعدة المخرج: وإذا؟... فيلليني بذاته أمسك الكلاكيت لروسّي.

رشـــا : روسّي؟ فيلليني أخد جائزة «كان» قبل أن يبدأ روسّي بالإخراج.

ص. المخرج: يكفي محاضرات... امسكي الكلاكيت بصمت.

رشـــا : هذا الجهل في فيلمي؟!

مساعدة المخرج: ليس فلمك... (يرتفع اللغط والصراخ والطرق على أشياء معدنية) هذا عمرك... ألم تفهمي... عمرك.

(تختطف رشا الكلاكيت ودون أن تنظر إلى مساعدة المخرج تصرخ مقلدة إياها)

رشـــا : الإعادة الثالثة للعمر... المشهد الثالث والسبعون «خطوة في ألف ميل» الإعادة (تنظر إلى مساعدة المخرج مستفسرة) الإعادة.

مساعدة المخرج: الأولى.

(تختطف مساعدة المخرج الكلاكيت من يد رشا وتمضي خارجة في حين تبحث رشا عن حقيبتها الصوفية القديمة، تعلقها على كتفها بعد أن استخرجت منها ملفاً بغلاف مهترئ، يرن جرس الهاتف، تحار رشا إن كان عليها أن ترد، وتبتسم حين يدخل الموظف الكهل الذي يحمل كيساً فيه [كعك]، يبدو أنه يفاجأ

لوجود الكيس الآخر على الطاولة، ينظر إلى رشا متفحصاً، الهاتف ما زال يرن، يرفع الموظف سماعة الهاتف ويضعها بحركة آلية دون أن يتحدث فيها، يجلس، يتجرع الشاي، يفتح أحد الدفاتر الضخمة، يبدأ بالكتابة ودون أن ينظر باتجاه رشا، يأخذ قطعة كعك ويقضمها دون تعجل، يقوم بتشغيل الراديو فتسمع أغنية شائعة بصوت خفيض، تحاول لفت نظره إليها، تمد يدها بالملف وهي تتنحنح):

رشـــا : أحضرت لك... الأوراق المطلوبة... الشهادة الثانوية... لم أجدها.

(يشير الموظف لرشا أن تنتظر، تنظر حولها وهي تتفحص المكان، يغلق الموظف الملف الذي أمامه ويضعه جانباً، يقفل الراديو، يضع كيس الكعك جانباً، يلتفت إلى رشا):

الموظف:نعم... ماذا تريدين؟.

رشـــا : قلت ... مرحبا.

الموظف:وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته... خير؟!

رشـــا : لم أجد الشهادة الثانوية.

الموظف: وتأتين لتضيعي وقتي؟! قدمي طلب للمديرية لتأخذي نسخة.

رشـــا : وبسرعة؟!

الموظف:بسرعة يصل الواحد إلى الآخرة...

رشـــا : طيب... ممكن أن ترى الملف إذا كان يحتاج لشيء آخر...؟

الموظف: أمري لله.

(يأخذ الموظف الملف منها، يفتحه ويتفحص الأوراق بداخله، يأخذ قطعة كعك)

الموظف:مم.. إخراج سينمائي وتلفزيوني... ألم يكن أفضل لك أن تدرسي جيولوجيا؟ أو بيطرة؟!

رشـــا : بيطرة؟ لا شك أن البيطرة أفضل... لكني لا أستطيع رؤية حيواناً يتألم.

الموظف: والإنسان؟ الحاصل، لم أفهم ماذا ستفعلون بهكذا شهادة، ثالث شهادة هذه السنة... ولا أحد منكم ينتج فجلاً.

رشـــا : السينما والفن في بلادنا بحاجة لأكثر.

الموظف:ستطعمين الفن للناس؟ سيعمر لهم بيوتاً أم سيزرع لهم قطناً أو صوفاً؟ أجيبيني.؟

رشـــا : (مندهشة وتكاد تبكي) يعني... ترفض طلبي؟

الموظف: لو عادت لي لرفضتك كلك... شهادتك تحتاج إلى معادلة.

رشـــا : عادلتها... الوثيقة.

الموظف: (مقاطعاً) هذه الوثيقة انقعيها واشربي مياهها.

رشـــا : لماذا؟

الموظف: يعلمونكم كل شي إلا الفهم... هذه المعادلة مخصصة لنقابة الفنانين وليس لطلب التوظيف...

رشـــا : اسمع يا أستاذ... مضت أيام وأنا أتحملك... تهيّنني وتسخر من شهادتي.

(يفتح الموظف الراديو ويرفع صوته بحيث تصدح أغنية يطغى صوتها على صوت رشا، يسكب الشاب من «ترمس» ويتجرعه، تصمت رشا وهي تحملق به)

الموظف: انتهت المقابلة... انصرفي.

رشـــا : إلى أين؟!

الموظف:حيث تريدين... أرض الله واسعة وما شاالله أنت شباب وقدماك قويتان.

رشـــا : (بغضب متصاعد) يا سيد... أنت موجود هنا لتسهيل أمور الناس... أنت بيروقراطي وأنا سأشتكي لرئيسك... لوزيرك.

(يرفع الموظف صوت الراديو ويشير بإصبعه إلى الباب، تختطف رشا الملف من فوق الطاولة وتندفع باتجاه الباب ولكنها تتوقف، ثم تستدير وقد هدأت):

رشـــا : أنا آسفة... أعتذر.

(الموظف يخفض صوت الراديو)

الموظف: نعم؟!

رشـــا : قلت لك... أنا آسفة... وأعتذر منك... ماذا أفعل الآن..

الموظف:اذهبي للوزير... والمدير... كلهم سيعيدونك إلي.

رشـــا : قلت لك أنا أعتذر.

الموظف: لو لم تكوني بعمر ابنتي وقادمة من الخارج كنت تصرفت... أحضري معادلة شهادة موجهة إلينا، وصورة عن الشهادة الثانوية.

رشـــا : حاضر.

الموظف: وورقة غير موظف ووثيقة لا حكم عليه.

رشـــا : لا حكم عليه؟! هذه لم تكن مطلوبة.

الموظف: والآن أصبحت مطلوبة... عندك اعتراض؟!

رشـــا : لا.. لا.. أبداً.

(يرفع صوت الراديو مجدداً فيصدح صوت مذيع يتحدث عن الطقس. تنخفض الإضاءة ورشا تخطو بخطوات مترددة وقد ضمت الملف بعنف... يسود الظلام...)

(من الظلام يصدح صوت المخرج)

ص. المخرج: ماذا حدث؟ لماذا توقفتم؟!

ص. مساعدة المخرج: انتهى المشهد.

ص. المخرج: إذاً ارتجلوا... افعلوا أي شي.

ص. مساعدة المخرج: رشا... ارتجلي... مثّلي أي شي.

رشـــا : ما قصدك أي شي؟

ص. مساعدة المخرج: تكلمي... ارقصي... ابكي... اضحكي.

رشـــا : بهذه البساطة؟ لن ارتجل... فيلمكم وأنتم افعلوا ما تودون.

ص. المخرج: ما هذه الفوضى... يا آنسة رشا... كل مرة يجب أن نذكرك أن هذا عمرك... هذا ليس فيلمنا... هذا عمرك... عمرك.

(يسود الظلام فجأة وصوت المخرج يدوي وصداه يتردد)

(في هذه الأثناء تتبدل الإضاءة من مكان وقوف رشا إلى زاوية الخشبة حيث جلست الموظفة الشابة على حافة طاولة مرتبة وعليها بعض الملفات، تقوم الموظفة بطلاء أظافر قدمها، إلى جانبها راديو صغير تصدح منه الأغنية التي كانت في المشهد السابق، تبدو رشا مترددة وقد ظهرت بالقرب من الطاولة، تقترب أكثر، لقد أضيف لملابس رشا جاكيت وشال يحيط عنقها، ما أن تراها الموظفة حتى تشير لها بحركة ودية، طالبة منها الجلوس إلى الكرسي المجاور للطاولة):

الموظفة: أنت؟ منذ زمان لم نرك..؟

رشـــا : لو بيدي كنت (تصمت) أريد أن انتهي من هذه القصة.. أظن الملف اكتمل.

(تنزل الموظفة عن الطاولة وقد رمت الملف الذي أعطتها إياه، رمته على الطاولة بلا مبالاة، تعانق رشا من كتفها بلا كلفة وتجذبها لتمشي وإياها محاولة عدم إفساد طلاء أظافر قدميها).

الموظفة: أريد أن أسألك لماذا كل هذا التعب والركض على الوظيفة؟

رشـــا : لأني أريد... كيف اشرح لك... لن أستطيع تنفيذ الفيلم الذي أريد إلا من خلال الوظيفة....

الموظفة: فيلم؟! كل هذا التعب لأجل فيلم.. على كل حال يوجد قرار بوقف التعيين.

رشـــا : ماذا يعني هذا..؟

الموظفة: إذا عندك واسطة فسيتدبر الأمر... لكن الراتب قليل جداً.

رشـــا : ومع ذلك أنت موظفة.

الموظفة: وهل تعتقدين لأجل الراتب... راتبي لا يكفي مصروف جيب... أنا هنا لأجل أشياء أخرى.

(تهم رشا بالكلام ولكن الموظفة تمسكها من كتفها وتجلسها على الكرسي).

الموظفة: اسمعي... ما رأيك أتدبر لك إعلانات تلفزيونية.

رشـــا : إعلانات تلفزيون؟!

الموظفة: لم لا... علاقاتي واسعة... أنت تخرجين الدعاية وأنا أمثل فيها... ألا أصلح؟ انظري..

(تبحث في الراديو عن موسيقى، بعد عدة محطات يسمع فيها قرآن كريم وأخبار وبرنامج علمي، تجد الممثلة موسيقى، أغنية شبابية... تسحب الشال الذي على كتف رشا وسط ذهول الأخيرة، تربطه على خصرها وتبدأ بالرقص بخلاعة ولكن دون إتقان، يرن جرس الهاتف ، تقترب منه دون أن تتوقف عن الرقص، ترفع السماعة وتضعها على الفور، يبدو الاستسلام على رشا، تستند على الطاولة وقد أطرقت تمسك

بملفها، تنظر إلى الممثلة وقد بدا عليها الاشمئزاز، يقرع الباب ويسمع صوت صريره فتصرخ الممثلة دون أن تتوقف:

الموظفة: اخرج... ألا تراني مشغولة؟!

صوت رجل: لكن يا آنسة... معاملتي.

الموظفة: اذهب أفضل من أن تضيع معاملتك نهائياً.

(يسمع صوت إطباق الباب بقوة، تنهض رشا فجأة، فتعترض الممثلة طريقها دون أن تتوقف عن الرقص، تتحول الحركة إلى ما يشبه الرقصة الثنائية، الممثلة تزيد من خلاعتها وتمنع رشا من الوصول إلى الباب في حين تحاول الأخيرة فعل ذلك وقد بدا عليها الإحراج المشوب بالخجل).

الموظفة: كيف؟ ألست سكسيه؟ ألا أصلح للإعلانات؟!... طبعاً الملابس مكشوفة أكثر ونحضر مدرب رقص و"كوافير".

(فجأة تتوقف رشا عن محاولاتها بالخروج وعلى وجهها تعبير قاس، ترمي بالملف في وجه الموظفة فتتطاير الأوراق، تنفجر الموظفة بالضحك).

رشـــا : أنت منحلة... ليس عندك أخلاق... ساقطة.

(تنخفض الإضاءة تدريجياً وتبقى رشا في دائرة الضوء وتعبير قاس على وجهها، تتلاشى كافة الأصوات، تتمتم رشا):

رشـــا : لم أعد لأجل هذا... ولن أسمح لكم... لن أسمح.

(يسود الظلام)

المشهد الرابع

(يظهر العامل، يتوقف في بقعة إضاءة بيضاء، يشير بيديه إشارة وكأنه يرسم ممراً في مقدمة الخشبة وبشكل عرضاني).

العامل : هنا ممر الإضاءة الزرقاء والبرتقالية.

(تتبدل الإضاءة لتضيء بالأزرق والبرتقالي بحيث تشكل ممراً في مقدمة الخشبة، تظهر مساعدة المخرج، إنها بملابس عمل، تحمل شجيرة صغيرة في أصيص، على الشجيرة بعض الأوراق الخريفية الصفراء المحمرّة، يصدح صوت المخرج في حين يخرج العامل ومساعدة المخرج).

صوت المخرج: بسرعة... المشهد عند غروب الشمس.

(يظهر العامل ومساعدة المخرج، إنهما يحملان مقعداً مما يستخدم في الحدائق، طلاء المقعد جديد، يضعانه في وسط الخشبة بالقرب من الشجيرة، يمضي العامل في حين تقوم مساعدة المخرج باقتطاع بعض أوراق الشجيرة ورميها على المقعد وعلى الأرض أمامه، يصدح صوت المخرج مجدداً).

صوت المخرج: استعداد... بسرعة... كلاكيت... أين الكلاكيت؟!

(تهرع مساعدة المخرج باحثة عن الكلاكيت، أخيراً تجدها، تقف أمام المقعد، تقرأ ما كتب على الكلاكيت ثم تضعه بوضعية أفقية وتصفق به)

مساعدة المخرج: الإعادة الثالثة للعمر، المشهد الرابع «استعادة لحظة»، الإعادة الأولى...

(تهرع مساعدة المخرج خارجة، تسمع أصوات عصافير وخرير ماء، تظهر رشا، تبدو أصغر سناً، إنها ترتدي معطفاً خفيفاً وتضع على رأسها قبعة صوفية وقد لفّت على عنقها لفحة صوفية وتعلق على كتفها حقيبتها الصوفية مما تحمله الطالبات في أوروبا، من الحقيبة تبرز بعض الكتب والأوراق، وراءها يدخل البروفيسور، يبدو كهلاً ويرتدي قبعة ويستند على عكاز وله ذقن صغيرة مدببة، إنه يمشي ببطء ووقار رغم حيوية حركات يديه وشيء من الانفعال العاطفي في طريقة كلامه وحركته، يبدو الخجل والارتباك على رشا بل وبعض الخجل ويظهر عليها الاحترام الكبير الذي تكنه للعجوز [يمكن أن يكون الحوار بالإنكليزية على أن تسجل ترجمة بصوت رشا ويبث التسجيل بشكل متزامن مع حوارهما]).

البروفسور: يسعدني أنك تتطورين بسرعة، تتمتعين بخيال فطري لا يخلو من غرابة وجدّة، كذلك أنت قادرة على

تنظيم خيالك بأسلوب فني إبداعي... كل هذا جيد... بل وممتاز.

رشـــا : (تتمتم) أشكرك بروفسور.

البروفسور: (يتابع) ما ينقصك هو العمق ، التعمق بالفكرة ، بالشخصيات، بعلاقاتها، بما حولها... بالتفاصيل.

(يشير لرشا أن تجلس بعد أن انتبه أنها واقفة كالتلميذ الخائف، يخرج صحيفة من جيب معطفه، يطويها ويروح يضرب قدمه بها بتواتر لا يتناسب مع إيقاعه الذي أصبح أكثر هدوءاً).

البروفسور: ما يميز الفن عن اللا فن، القراءة الفلسفية والفكرية ... الموقف الإنساني والأهم: الموقف الجمالي والرؤية الجمالية...

(يبتسم معتذراً ثم يخرج من جيبه زجاجة ويسكي صغيرة، يفتحها وقبل أن يتجرع منها يقدمها لرشا التي تخفض رأسها وتهزه رافضة).

البروفسور: معك حق... الويسكي قوي جداً ولا يتناسب مع فتاة رقيقة مثلك... أما أنا فاسمحي لي.

رشـــا : تفضل يا بروفسور... خذ راحتك...

(البروفسور يتجرع من الزجاجة، ينظر إليها متفحصاً ثم يتجرع رشفة أخرى، يغلق الزجاجة ويعيدها إلى جيب معطفه).

البروفسور: ... أعتقد أنه سيكون لك شأن في بلادك... أحسدك على ذلك...

رشـــا : (بدهشة) تحسدني يا بروفسور؟ تحسدني أنا؟!

البروفسور: لم لا؟... سأشرح لك... نحن (يصمت وكأنه يبحث عن كلمة) نحن متخمون بالفن والثقافة والتجارب المجنونة... لذا أصبحنا ننتج ما يمكن استهلاكه على أنه صرعة... جمهورنا اعتاد الوجبات السريعة... لذيذة وجميلة ولكن لا فائدة منها سوى ملء البطن... أنتم لديكم قضايا، هموم... تساؤلات مصيرية... هذا ما يجعلني أحسدك يا صغيرتي.

رشـــا : (باندفاع مفاجئ) ولكن لهذا الأمر جانباً آخر يا بروفسور.

(يتعالى صوت بعض النوارس التي تتصارع)

البروفسور: انظري إلى النورسين، يتصارعان... يبدو الأمر كاللعب، ولكن أثناء ذلك يفقأ أحدهما عين الآخر... رغم أن كليهما متخم بالطعام.

رشـــا : أنت متشائم يا سيدي؟ اعذرني على جرأتي... أعتقد أن هذين النورسين...

(تصمت وتشهق وتخفض بصرها، تبدأ بجمع أوراق الشجر المتساقط)

البروفسور: أكملي... ما الذي أسكتك؟!

رشـــا : اقتنعت بسخافة فكرتي... فأحدهما ضرب رأس الآخر بمنقاره فهوى...

البروفسور: بالضبط... هذا ما حدث فعلاً... هذا ما يحدث دوماً... اسمعي يا ابنتي... أريدك أن تقرأي مشروعي الجديد، ملخص الفيلم الذي سأنفذه.

(يعطيها الأوراق التي في يده، تأخذها والدهشة مرتسمة على وجهها، ينهض البروفسور ويمضي، تنهض وتسارع وراءه وهي تحشر الأوراق في حقيبتها).

البروفسور: أريد رأيك الصريح... وبالتفاصيل والأفضل أن تكون ملاحظاتك مكتوبة بنقاط مقتضبة.

رشـــا : ملاحظاتي؟ رأيي أنا يا بروفسور؟!

البروفسور: نعم ملاحظاتك، رأيك... إذا وافق المنتج قد أخذك مساعدة لي... لا تقولي هذا لزملائك...

(يقول هذا ويمضي مسرعاً وهو يضرب الأرض بالمظلة، تبتسم هي والذهول بادٍ على وجهها، تلحقه وهي تكاد تتعثر... تتعالى أصواتُ النوارس وتنخفض مع انخفاض الإضاءة إلى أن يسود الظلام والصمت).

(يتصاعد الصوت الميكانيكي للكاميرا ويسمع صوت المخرج بلهجة آمرة):

صوت المخرج: ستوب... المشهد صوّر... هيا... استعداد للمشهد التالي... بسرعة ... نظفوا أوراق الأشجار ... شتاء ، صقيع وبرد الآن...

(تضاء الخشبة، ما زال المشهد كما في السابق، اختفت الأوراق عن الشجرة ونثر الثلج عليها وعلى المقعد، تتمشى الممثلة٢ وهي بملابس مدرّسة رشا تضاف إليها لفحة ومعطف شتوي، إنها تستنشق الهواء، تقترب رشا، إنها أيضاً بملابس شتوية وقد وضعت على عنقها لفحة مصنوعة من قماش الحطة الفلسطينية ومزينة في نهايتها بعلم فلسطين، الممثلة ٢ لا تتعرف على رشا التي تمر مسرعة ولكنها تبصق وتتمتم بشتيمة):

الممثلة٢: قذارة... خرى... إرهابية.

(تتوقف رشا التي يبدو أنها سمعت الكلمة الأخيرة فقط، تلتفت وهي تقول:

رشـــا : توجهين الكلام لي؟

الممثلة٢: رشا؟ لم أعرفك...

رشـــا : وأنا لم أتعرف عليك... آسفة يا سيدتي.

الممثلة٢: ذاهبة إلى حفلة تنكرية؟

(تمسك طرف الحطة وتتأملها ثم تقبلها بهدوء وتتمتم)

رشـــا : هذا من ملابسنا الوطنية.

الممثلة٢: الإرهابيون يستعملونه.

رشـــا : إرهابيون؟! تقصدين الفدائيين الفلسطينيين؟

الممثلة٢: (بسخرية) فلسطينيين... فلسطين... هذا لا وجود له في إلا في أوهامكم...

رشـــا : قبل عام الثمانية وأربعين لم يكن لإسرائيل وجود.

الممثلة٢: (بحدّة) إسرائيل موجودة منذ ثلاثة آلاف عام.

رشـــا : ومكونة من زنوج وصينيين وبولون ومغاربة؟

الممثلة٢: ... وقحة... بالمناسبة ما هو موضوع فيلمك القادم؟!

رشـــا : مأساة الشعب الفلسطيني.

الممثلة٢: أنت سورية على ما أعتقد؟

رشـــا : أرضي محتلة من قبل إسرائيل أيضاً.

الممثلة٢: (تصرخ) أرضك؟ هذه أرض الميعاد... أرضنا وستبقى كذلك إلى الأبد... وأنت ستغيرين موضوع فيلمك... شئتِ أن أبيتِ.

رشـــا : وتتحدثين عن العدوانية يا سيدتي؟!

الممثلة٢: اخرسي...

رشـــا : لا أصدق أننا في وسط أوروبا الديمقراطية، أوروبا الرأي الحر وحقوق الإنسان.

الممثلة٢: تقتلون الأبرياء ثم تريدون التمتع بالديمقراطية وحقوق الإنسان؟!

رشـــا : الذي قتل الأبرياء هم الهاغانا... جيش الدفاع الإسرائيلي ... نابالم أميركا المزين بنجمة داوود.

الممثلة٢: لن أسمح لك بالتخرج من المعهد.

رشـــا : وأنا لن أسمح لأحد بتقرير ما أفعل وما أفكر ومع من أقف...

الممثلة٢: انقلعي... من وجهي... من المعهد... من بلادي... خذي تطرفك واذهبي إلى حيث الأيدي الملطخة بالدماء.

(تبتعد ثم تتوقف للحظة وتلتفت إلى الممثلة ٢ التي جلست على المقعد وقد أخرجت سلسالاً فضياً عليه نجمة سداسية علق تحت معطفها).

رشـــا : تطردينني من بلادك؟ ولكن ألم تقولي للتو أن وطنك هو إسرائيل؟!

الممثلة٢: أنتم العرب محسودون بغبائكم.

رشـــا : لا أعلم من الغبي في هذا العالم... (تبتسم بثقة) على كل حال سأطلب تغيير المشرف على مشروع تخرجي.

الممثلة٢: وأنا سأطالب بطردك للإهانة والمعاداة للسامية.

رشـــا : في هذه تخطئين... فأنا مثلك ساميّة...

(تقول رشا كلمتها الأخيرة ملاحقة بها الممثلة٢ التي تندفع خارج الخشبة بخطوات شبه عسكرية، تضرب رشا الأرض بمقدمة حذائها وكأنها تحفر فيها حفرة، تتوجه إلى المقعد وتدمدم بلحن أغنية شائعة عن القضية الفلسطينية [مارسيل خليفه، الشيخ إمام أو غيرها] تنخفض الإضاءة تدريجياً... في الظلام يصدح صوت المخرج).

ص. المخرج: ستوب... قلت ستوب!! المشهد الذي بعده.

ص. مساعدة المخرج: قلت أنه ملغى... مباشر جداً...

ص. المخرج: ... نصوّره ثم نلغيه عند المونتاج...

(تضاء الخشبة بإضاءة قوية، كل شيء كما كان باستثناء أوراق الشجرة التي أصبحت الآن خضراء وأكثر عدداً من التي كانت في المشهد السابق، يظهر البروفسور إنه يرتدي قبعة من القش وجاكيتاً صيفياً ولفحة عنق رقيقة، إنه يتكئ على عكاز ولكنه يبدو نشيطاً وحيوياً، وراءه تظهر رشا، إنها الآن ببنطال جينز وقميص وقد ربطت رأسها بعصابة مطاطية ملونة وتحمل الحقيبة الصوفية ذاتها... يشير البروفسور لرشا أن تجلس على المقعد، يجلس بدوره، أصوات خرير الماء والعصافير أكثر وضوحاً من المشهد الماضي).

البروفسور: أريد أن أعتذر لك... أجبرناكِ على تغيير موضوع فيلمك.

رشـــا : سأنفذه يوماً...

البروفسور: هذا جيد... وإن كنت أرى أن الفيلم الذي أنجزتيه أكثر حياتية وأقل مباشرة...

رشـــا : عشت كل لقطة في الفيلم.

البروفسور: يجب أن تتذكري دوماً... أن اللقطة السينمائية، أية لقطة يمكن نظرياً أن تعاد عدة مرات، وبعشرات الاحتمالات، كذلك المشهد...

(رشا تهز رأسها وقد بدا عليها أنها جادة، يبتسم البروفسور لرشا ويتابع حديثه مخففاً من صرامته).

البروفسور: العمر يا عزيزتي... فقط العمر لا يمكن إعادته... وكل ما يمضي، حتى أفلامنا التي أنجزناها تصبح جزءاً من عمر لا يمكن إعادته أو تغيير ما حدث فيه.

(ينهض البروفسور ويمشي حول المقعد بحيث يتوقف أحياناً وراء ظهر رشا التي تنكمش في جلستها).

البروفسور: أنت الآن أنجزت فيلماً معقولاً... تجربة لا بأس بها، بطلاتك مقنعات لأنهن قمن بأدوارهن الحياتية... أقرب ما يمكن إلى الواقع.

رشـــا : ليس بدقة... أجريت الكثير من التعديلات وتدخلت فيما يخص طباعهن ونشأتهن. الواقع... كان أكثر فظاظة وأقل شاعرية...

البروفسور: (مقاطعاً) لا يهم... ألسن مهاجرات من بلادهن؟ ألم تستعرضي معاناتهن كنساء وكغريبات وكشرقيات؟!

رشـــا : حاولت ذلك...

البروفسور: إلى أي حد؟!

رشـــا : إلى حد كبير.

البروفسور: هذه هي النقطة التي ستتحدثين عنها في دفاع التخرج.

رشـــا : ولكني كنت أود...

البروفسور: (مقاطعاً) لا يهم ما تريدين... كثيراً ما يتحدث المخرج عن أشياء يريد جمهوره أن يسمعها، مع أنها لا تتطابق مع قناعاته... هيا... جربي....

رشـــا : ماذا أجرب؟

البروفسور: انهضي... هنا على المقعد... أمامك لجنة الدفاع العلمي لنيل شهادة الإخراج.

رشـــا : أرى نوارس فقط.

البروفسور: هذه ليست نوارس يا عزيزتي، أم خانك خيالك؟!

رشـــا : لست مستعدة...

البروفسور: يا صديقتي... لن ينتظرك أحد حتى تستعدي... على المخرج أن يكون مستعداً دوماً أمام جمهوره...

رشـــا : حسناً... سأحاول.

(تنهض رشا وتصعد على المقعد، تنتزع المنديل عن رأسها وتبدأ كلامها بشيء من التلعثم):

رشـــا : أنا... في الحقيقة...

البروفسور: لا تبدأي بأنا... ولا بـــ «الحقيقة»... كوني أكثر طلاقة دون التخلي عن التواضع.

رشـــا : (بطلاقة أكثر) الفيلم الذي ستشاهدونه، محاولة لتلمس مشكلة إنسانية نسائية أصبحت شائعة بعد النصف...

البروفسور: (مقاطعاً) جملة طويلة ومملة وجافة...

رشـــا : (تفكر للحظة وتندفع بكلامها) ما سترونه على الشاشة بعد قليل هو نتاج تجربتي الحياتية، ما لم يحصل معي عايشته من خلال صديقاتي، فتيات أتين إلى الغرب في محاولات للحصول على الحرية، عبر الدراسة، عبر الاستقلال، عبر تحمل المسؤولية....

(تدريجياً يسود الظلام وبعد لحظة صمت يسمع تصفيق متفرق يمتزج بصيحات خجولة، «جميل»، «لطيف»، «مشكلة تجاوزناها»، «هام حتى بالنسبة إلينا»... «الغربة حتى في داخلنا نحن»، «مرآة لما يحدث»، «مرآة لتخلف الشرق»... «مقنع»... «مؤثر»...)

(يسود الظلام ويصدح صوت الرجل).

ص. المخرج: ستوب... كفى... المشاهد الثلاثة الأخيرة تلغى...

(صوت مساعدة المخرج يختلط مع أصوات إزاحة قطع الموبيليا وقرقعة أجهزة الإضاءة وخطوات تبتعد).

ص. مساعدة المخرج: لو كنت تدفع ثمن ما نفعل لما ألغيت ما صورناه...

ص. المخرج: صمت... لا أريد أي اعتراض... مفهوم؟!!

(يسود الظلام)

المشهد الخامس

(يصدح في الظلام صوت مساعدة المخرج وفور ذلك يضاء ضوء باهت في منتصف الخشبة).

ص. مساعدة المخرج: أعطوني الضوء المناوب... أي ضوء...

(الممثلة٢ ترتدي ثياب العاملة وتحمل الكلاكيت، ترميها على الكنبة التي كانت في العمق، تخرج أوراق السيناريو من جيبها الضخم، تقرأ فيها، تنزل الأوراق بعنف ضاربة إياها بساقها، تزفر ثم تقول بصوت يظهر الضيق فيه):

ص. مساعدة المخرج: المشهد الذي أطيقه... (تصرخ) استعداد الكومبارس... الملاءات السوداء... أقول السوداء وليس البيضاء...

ص. المخرج: الحلم نصوره بطريقة المزج... قطع... استعداد ... كاميرا... كلاكيت.

(يظهر الممثل وقد ارتدى ملاءة سوداء تغطيه من رأسه إلى أسفل قدميه، بيده يحمل فانوساً كازياً قديماً،

تدخل رشا بملابس النوم، إنها تحمل بيدها شمعة وكوباً تتجرع منه، تنظر حولها ودون أن تلاحظ الممثل١ يتمتم):

رشـــا : انقطعت الكهرباء من جديد.

الممثل١: أنا قطعتها.

رشـــا : هه!!... من أنتِ؟!

الممثل١: جدك.

رشـــا : جدي... لا أعرفه... مات عندما كنت صغيرة...

الممثل١: إذاً أبوك...

رشـــا : أبي؟! كان قصير القامة...

الممثل١: عمك... أو أحد أخوالك... المختار أو البقال.

رشـــا : ماذا تريد مني؟!

الممثل١: الطاعة...

رشـــا : الطاعة؟! لمن... لك؟!

الممثل : لنا... لي... ولهم...

رشـــا : كأنك كابوس... لكن تُضحك قليلاً...

(فجأة يتقدم الممثل١ منها ويقرب الفانوس بحيث يوحي بأنه سيحرقها تقفز مبتعدة، تطفأ الشمعة، تنظر رشا حولها بذعر).

رشـــا : لا أريد العتمه...

الممثل١: إذا لم تطيعي سيحاصرك الظلام... ستغرقين بالعتمة... سألاحقك بالظلام... انشره حوالك...

رشـــا : أفيق من نومي تختفي..

الممثل١: جربي...

(تدخل الممثلة٢، إنها تحمل أيضاً فانوساً ولكن شكله مختلف وقد ارتدت ملاءة سوداء تغطيها، تضع يدها على كتف رشا برفق، من الخلف، تشهق رشا وتقفز بحيث تصبح بين الشبحين).

رشـــا : هه... من أنتِ؟!

الممثلة٢: إن قلت لك أمكِ... تفرق معك؟!

رشـــا : أمي كانت... جميلة... حلوة...

الممثلة٢: (للممثل١) قلت لك أنه لا فائدة معها... عنيدة... اتركها... الزمن كفيل بها.

الممثل١: ليس بسهولة... نريد مصلحتها... تحمل اسمنا ويمكن أن توسخه.

الممثلة٢: لنجرب إذن...

(يقترب الاثنان من رشا ويلوحان بأيديهما الحرة بقوة وبالفوانيس وبحركات دائرية حولها، حركات تشبه الطقوس الدينية العنيفة).

الاثنان معاً: اقرأي شعراً!

رشـــا : شعر؟ الآن؟!

الاثنان معاً: لا تسألي... اقرأي هيا.

رشـــا : لا أحفظ.

الاثنان معاً: (يصرخان) اقرأي...

رشـــا : (تتمتم دون وزن أو تنغيم)

لا أحد... يا حبيبتي[*]
يريد أن يستمع إلى إفادتي...
فالقضاة معقدون...
والشهود مرتشون...
وقرار إدانتي...
صادر قبل صدوره...
لا أحد يا حبيبتي...
يفهم طفولتي...
فأنا أنتمي إلى مدينة لا تحب الأطفال...

الممثل١: (يصرخ) هذا شعر؟!

رشـــا : (تتابع ولكن بشيء من التنغيم)

فأنا أنتمي إلى مدينة لا تحب الأطفال...
ولا تعترف بالبراءة...
ولم يسبق لها...
أن اشترت وردة... أو ديوان شعر
أنا من مدينة... خشنة اليدين
خشنة القلب...
خشنة العواطف

(*) «١٠٠ رسالة حب»، نزار قباني، الطبعة الثانية عشرة، آذار (مارس) ١٩١٢، المقطع ٨٧، الصفحة ١٧٢.

الممثلة٢: يكفي... (تصرخ) سأحرقك... توقفي...

رشـــا : (تتابع بإصرار)

من كثرة ما ابتلعت من المسامير... وقطع الزجاج

أنا من مدينة جليدية الأسوار

مات جميع أطفالها...

من البرد...

الممثل : اسكتي...

الممثلة٢: اخرسي... وخاصة عندما يتكلم معك رجل...

الاثنان معاً: لا نسمح لك... تجاوزتي كل الحدود...

(في هذه الأثناء تخرج الممثلة٢ حزاماً جليدياً، أمام الممثل١ فيخرج سوطاً، يلوحان بهما ويفرقعان حول رشا التي جلست القرفصاء ووضعت رأسها بين يديها وهي تكرر بآلية صارخة):

رشـــا : مات جميع أطفالها...

من البرد...

من البرد...

من البرد...

(يتوقف الاثنان وهما ينظران إليها، يغطيان الفوانيس بالملاءات السوداء فيسود ظلام للحظات يختفيان خلالها، تنفجر رشا بضحكة شبه هستيرية).

رشـــا : حلم... حلم سخيف... أنا أصلاً... لا أقرأ الشعر... حلم، وسأفيق... الآن أريد أن أفيق... الآن... الآن...

(ترتفع الإضاءة للحظة، رشا جالسة على الأرض وقدماها منبسطتان ومتباعدتان، شعرها مشعث وبيدها الكأس وقد وضعت بداخله الشمعة المطفأة والدموع تنهمر من عينيها، تمسحها بظاهر كفها...)

رشـــا : لا... ليس حلماً...

(يسمع صوت المخرج)

ص. المخرج: ستوب... صور المشهد... خذوا بعض التفاصيل الشمعة... الكأس... عينيها ودموعها.

ص. مساعدة المخرج: لا يوجد دموع بعينيها...

ص. المخرج: ضعوا لها غليسرين... ماء... زيت...

ص. مساعدة المخرج: ... لا تصرخ... قمنا بما أمرت به...

(ما زالت رشا جالسة ولكنها جمعت قدميها الآن، جسدها يهتز وقد أخفت وجهها، بحيث لا يظهر إن كانت تبكي أو تضحك... تظهر الممثلة٢ والممثل١، إنهما بثياب العمال، يرفعان رشا من مرفقيها، الممثل١ يأخذ منها الكأس والشمعة، الممثلة٢ تسحبها برفق، تجلسها على الكنبة في عمق الخشبة، يسود الظلام...)

المشهد السادس

(يصدح صوت المخرج في الظلام)

ص. المخرج: هيا... ليس لدينا وقت... الماكياج والملابس أهم شيء في هذا المشهد... مفهوم؟ لماذا لا يجيب أحد حين أسأل؟... هيا أسرعوا... أحبائي... أعزائي... نحن نفعل ما لم يفعله أحد...

(تضاء مقدمة الخشبة، تدخل مساعدة المخرج إلى رشا التي ما زالت في عمق الخشبة جالسة على الكنبة، خلال مرورها تتمتم مساعدة المخرج بشيء من الضيق وهي تقلد صوت الرجل):

مساعدة المخرج: أحبائي... أعزائي... نحن نفعل ما لم يفعله أحد... الخلاصة: سينما مثقفين.

(تدفع مساعدة المخرج الكنبة إلى مقدمة الخشبة، ما زالت رشا جالسة ولكنها ارتدت الآن جاكيتاً رسمياً ولفت عنقها بوشاح حريري بنفسجي اللون، تصبح الكنبة الآن تحت الضوء مباشرة، تبدو رشا ساكنة وقد أخرجت من حقيبتها أدوات ماكياج وراحت ترسم

بالكحل حول عينيها وتضع أحمر الشفاه، في هذه الأثناء تقوم مساعدة المخرج بتصفيف شعر رشا...

خلال ذلك يقوم الممثل١ بتجهيز ديكورات المشهد: يدفع طاولة مكتب عليها عدة هواتف وصورة امرأة وحولها عدة أولاد، يأتي الممثل بكرسي مكتب عالي المسند وأصيص فيه نبتة بلاستيكية مغبرة، أخيراً يعلق صورة لنجمة ترتدي ملابس سهرة تكشف عن ساقها ونهديها.

(تنهي مساعدة المخرج عملها في تصفيف شعر رشا، تتفحصها وتقول لها بسخرية):

مساعدة المخرج: مخرجة... ولا تتقنين تزيين وجهك؟!

رشـــا : «ماكياجي».. لا ينفع؟!

مساعدة المخرج: طبعاً لا ينفع... لو كنت المنتج الذي ستقابلينه كنت طردتك قبل أن اسمع ما عندك...

رشـــا : ولكني... ذاهبة لأجل شغل... كمخرجة وليس كممثلة...

مساعدة المخرج: ما الفرق؟... ألست امرأة؟...

(يصدح صوت الرجل)

ص. المخرج: استعداد!!... إضاءة... كاميرا... كلاكيت

مساعدة المخرج: جاهز...

ص. المخرج: تصوير...

مساعدة المخرج: المشهد... المشهد الثامن عشر... اللقطة الأولى... الإعادة الأولى.

(تسلط إضاءة قوية على موقع الديكورات فقط، تبدو رشا متململة وقلقة، تحاول تعديل ملابسها وترتيب شعرها، يرن جرس الهاتف، يتداخل مع رنين جرس هاتف آخر مختلف بصوته، رشا تنهض وهي تنقل نظراتها بين الهاتف الأول ثم الهاتف الثاني، ثم تنظر باتجاه المدخل المظلم... يسمع صوت سعال رجل، تجلس رشا وتتظاهر بأنها لم تسمع رنين الهاتف الذي ينقطع تدريجياً، يظهر المنتج يرتدي ملابس فاقعة الألوان وإن كان الشيب يغطي صدغيه، إنه يضع سلسلة ذهبية على عنقه وإسوراً ذهبياً ضخماً في يده، المنتج يغلق فتحة بنطاله ولا يخجله وجود رشا التي تدير وجهها بحدة وعصبية، يقول لها بتودد):

المنتج : لماذا لم تردي على الهاتف؟!

رشـــا : أنا أرد؟!

المنتج : لم لا... كل من هو موجود في مكتبي حر التصرف...

رشـــا : لكن أنا لم أتعود أن أرد على هواتف الغير...

المنتج : لا مشكلة... ما عندك؟

رشـــا : سلمت النص السينمائي (السيناريو)

المنتج : آه... صحيح... قرأت... الصفحة الأولى والأخيرة... ممتاز... ومهم...

(يصمت فجأة ويبدأ بالبحث في أدراج المكتب، رشا تحدق به وهي تنتظر أن يتابع كلامه بفارغ الصبر

ولكنه لا يفعل، بل يخرج العديد من الأشياء الغريبة من أدراج المكتب، علبة هدية، مسدس، ألبوم صور، إناء من الكريستال.

المنتج : آسف... لا أطيق رائحة عرقي... (بجدية) إيه... عن ماذا كنا نتكلم؟!

رشـــا : عن فيلمي.

المنتج : فيلمك... أظن أن المشكلة التي تطرحينها في السيناريو لا تهم أحداً.

رشـــا : لكن قبل قليل قلت...

المنتج : (مقاطعاً) ليس مهماً ما أقول... أدعوك للعشاء... ونحن نرقص نبحث عن طريقة لتمويل الفيلم.

رشـــا : هذا آخر كلام عندك؟!

(تنهض بعصبية ينهض بدوره ويحاول تهدئتها)

المنتج : ما بك يا آنسة؟ أنت آنسة أليس كذلك؟...

رشـــا : إذا شئت.

المنتج : ودرست الإخراج في أوروبا... وعملت في استوديوهاتهم.

رشـــا : وماذا يغير هذا الشيء؟!

المنتج : يعني تؤمنين بالممارسة الحرة للجنس.

رشـــا : ماذا؟!

المنتج : ما بك وكأن عقرب لسعك؟! اجلسي واهدئي.

رشـــا : أظن أنه لم يعد هناك داع لجلوسي... عن أذنك.

المنتج : لا تذهبي حتى تسمعينني.

(يضع يده على كتفها في محاولة لإجلاسها ولكنها تبعد يده بعنف فيضع كلتا يديه على كتفيها ويجلسها بطريقة فظة).

المنتج : اسمعي... أنا أمزح معك... قلت لك لا ترحلي حتى تسمعيني.

رشـــا : أسمعك وأنا واقفة... وبجانب الباب.

المنتج : لا تخافي... أنا لا أغتصب... أنا حتى وعود لا أعطي... هذه الصورة؟!

رشـــا : رأيتها.

المنتج : هذه زوجتي وأولادي.

رشـــا : لم أعتقد أنهم أولاد الجيران...

المنتج : أريك إياهم حتى تعرفي أن الله كفاني... وإذا أردت امرأة فيجب أن تأتي على رجليها... وتترجاني أيضاً.

رشـــا : لا... ووقح أيضاً.

المنتج : أرأيت أنك متخلفة... وفي السيناريو تجدين نفسك متحررة وتقدمية.

رشـــا : أنت تافه... أعطني السيناريو... أعطني نصّي.

المنتج : تأخذينه مع عقد التنفيذ وقبلة أيضاً.

رشـــا : نذل... حقير...

المنتج : ليس من قلبك.

رشـــا : وضيع سافل... منحط...

المنتج : كله من رغبتك... وستأتين وتترجيني.

رشـــا : قذر... تافه... سافل... منحط... حقير...

(تتخفض الإضاءة تدريجياً، في هذه الأثناء يقوم الممثل ومساعدة المخرج بإخراج قطع الديكور وإعادة قطع ديكور غرفة رشا، يسمع صوت راديو يقدم برنامجاً صباحياً، يسود الظلام للحظات ثم ترتفع إضاءة الغرفة... تدخل رشا وهي بملابس رياضية، تبدأ موسيقى رياضة الصباح، تبدأ هي بإجراء تمارين رياضية في المكان وهي تردد بلا انفعال):

رشـــا : نذل... تافه... مخنث... غبي... سافل... منحط... حقير... خائن...

(تصمت فجأة والدهشة مرتسمة على وجهها، تظهر مساعدة المخرج، تبدو وكأنها تبحث عن شيء في الأعلى، بيدها ورقة فاكس).

رشـــا : لا تقولوا ستوب.

مساعدة المخرج: هس... المخرج نائم.

رشـــا : نائم في التصوير.

مساعدة المخرج: أقول لك هس... جاءك فاكس.

رشـــا : فاكس؟ من أين.

مساعدة المخرج: من النمسا... وباللغة الألمانية.

رشـــا : لا أعرف ألماني.

مساعدة المخرج: ولا أنا... لكن قرأته.

رشـــا : كيف قرأته؟!
مساعدة المخرج: في هذا البناء يجب أن لا يخفى علينا شيء... عندنا مترجمين.
رشـــا : طيب قولي لي ما يوجد به.
مساعدة المخرج: تكرمي... (تفتح الورقة وكأنها تقرأها)
رشـــا : تمسكينه بالمقلوب.
مساعدة المخرج: غير مهم... حتى أتذكر ما به: الآنسة رشا كان لفيلمك وقع جيد خلال عرضه في المهرجان الماضي... ولولا أنه كان قديماً لدخل المسابقة ونافس على إحدى الجوائز... نرجو منك أن ترسلي لنا فيلمك الجديد لأننا على قناعة بأنه سيكون... سيكون.
رشـــا : لماذا سكت؟!
مساعدة المخرج: لحظة... لأتذكر الكلمة... سيكون... عظيماً، غبياً، جيداً، تافهاً، مهماً... لا لا... ولا واحدة من هذه... إيه: سيكون ملفتاً... لك كل الود والاحترام...
(تختطف رشا الفاكس من يد مساعدة المخرج وتحاول قراءته)
رشـــا : تحفظينه عالغيب؟!
مساعدة المخرج: أصول الشغل... هيا استعداد للمشهد الذي يليه.
(تقول مساعدة المخرج ثم تنظر إلى أعلى وتهم بالصراخ ولكنها تحجم، تقول همساً وقد أحاطت فمها بيديها).

مساعدة المخرج: استعداد...

(تقترب منها رشا)

رشـــا : ممكن أن أسألك؟... هذا الفاكس حقيقي أم من الفيلم؟

(تبتسم مساعدة المخرج وتربت على كتفها وتقول بشيء من الود...):

مساعدة المخرج: غير مهم... اعتبريه مثلما تريدين... أصلاً الفيلم والحقيقة يشبهان بعضهما (تصرخ) استعداد.

المشهد السابع

(في الظلام يصدح صوت المخرج، يتصاحب حواره مع مساعدته مع ضجيج ورشة عمل ولغط عمال تتخلله كلمات تقنية سينمائية مثل [العدسة، إضاءة، ماكياج، شاريو، إكسسوار، حوار، ديكور، فلتر]...)

ص. مساعدة المخرج: لكن المشهد غير موجود بالسيناريو؟!

ص. المخرج: وليكن... المشهد من تأليفي...

(تتصاعد الإضاءة، مساعدة المخرج بملابس المشهد الأول، إنها تجلس على الكنبة تشرب شيئاً ساخناً وتدخن سيجارة بمبسم، بين يديها بعض الأوراق، تهز برأسها رافضة).

مساعدة المخرج: الفيلم عن حياتها... حياة على كيفك؟!

ص. المخرج: ولمَ لا؟ أولاً هذا من وحي خيالي الإبداعي.

مساعدة المخرج: ولكن الحياة حياتها!!

ص. المخرج: وهي ممثلة في فيلمي أنا... أعتقد أنها تفهم هذا الشيء إن كانت درست الإخراج عن جد... غير ذلك لماذا تتدخلين فيما لا يعنيك؟!

مساعدة المخرج: آسفة أستاذ.

(تنهض مساعدة المخرج عن الكنبة وتبدأ بالنظر إلى المكان وتحاول ترتيبه ليعود غرفة رشا، تبدو غاضبة قليلاً فهي ترمي الأشياء وتدفع الطاولة بقدمها).

ص. المخرج: استعداد!

مساعدة المخرج: استعداد... المشهد... مشهد مضاف... الإعادة الأولى.

ص. المخرج: إضاءة.

(تسطع الإضاءة، ترفع مساعدة المخرج الكلاكيت)

مساعدة المخرج: كاميرا...

(تصفق مساعدة المخرج الكلاكيت وتبتعد بسرعة بعد أن اختطفت الكأس، تدخل رشا وتأخذ الكأس من مساعدة المخرج وترشف منه، إنها ترتدي ثوباً يظهر بعض أنوثتها وقد صفف شعرها، تضع الكوب على الطاولة، تقترب من المسجل تبحث بين الأشرطة، تجد شريطاً فتضعه لتنساب موسيقى هادئة، من حقيبتها تخرج نصاً سينمائياً مطوياً، تضعه، تضع دفتر ملاحظات وقلماً، يرن جرس الباب، تندفع باتجاه الباب فيسمع صوت وليد).

ص. وليد: لم أتأخر؟!

رشـــا : بل أتيت قبل وقتك بخمس دقائق وهذا يعادل التأخير.

(يدخل وليد وهو يحمل باقة زهور شبه ذابلة، إنه متأنق رغم أنه بملابس أشبه بالملابس الرياضية).

وليـــد : آسف لم أجد أفضل من هذه الزهور.

رشــا : تشبهني.

وليـــد : أنت؟! على العكس أنت في أوج تفتح أنوثتك... أعتذر عن تصرفي السابق.

رشــا : ماذا تشرب؟!

وليـــد : لا فرق... نرقص؟!

رشــا : نرقص؟ بشرط... التهذيب أولاً...

وليـــد : رقص مهذب؟! لا أعد وأحاول...

(يمسك برشا ويضع يديه على خصرها، تحاول التمنع ولكنه يجذبها بعنف)

رشــا : اسمع يا وليد.

وليـــد : أنت اسمعي... الموسيقى.

رشــا : وليد... أرجوك...جئت لنقرأ مشروعي الجديد.

وليـــد : عندنا وقت.

رشــا : أرجوك... ماذا تريد مني؟!

وليـــد : الذي يريده أي رجل من أية امرأة شهية...

رشــا : ... تجاوزت كافة الحدود...

(تدفعه وتبتعد إلى المسجل لتوقف الموسيقى، يبتسم وليد بسخرية ويراقبها... يتوجه إلى الكنبة، يجلس، يأخذ النص ويتظاهر بأنه يقرأه).

رشـــا : أنا آسفة...

وليـــد : كنت مغرمة بي!!

رشـــا : قبل... أن

وليـــد : قبل أن أتزوج؟!

رشـــا : وتصير نجماً...

وليـــد : آه... هذا يزعجك؟!

رشـــا : لا، لا أعرف... أرجوك... اعذرني يا وليد.

وليـــد : أعذرك؟! غريب أمركن يا بنات حواء...

رشـــا : أنا... أحبك فعلاً ولكن ليس كامرأة... كصديق...

وليـــد : صديق قديم... حبيب قديم... حذاء قديم... جورب قديم... عقل قديم.

رشـــا : أرجوك... أوقف هذه السخرية... أقدر أن أطلب منك طلب؟!

وليـــد : ما هو؟!

رشـــا : أن... وتمشي.

وليـــد : أذهب مطروداً؟! تطردني؟!

رشـــا : لا... افهمني... أنا لا أريد أن أخسرك.

وليـــد : تشتهيني لكنك خجلة... سأساعدك...

(أثناء كلماتها الأخيرة تقترب رشا محاولة التودد إليه ببراءة ولكنه يجذبها إليه ويضرب اللمبادير بقدمه فيسقط على الأرض، تتعالى صرخات رشا ولكن وليد يتمتم وهو يلهث).

رشـــا : نذل... دعني... حقير... لن تتمكن.

وليــد : لن تمانعي... أنت لي... وستكونين لي كلما شئت...

رشـــا : دعني... سأقتل نفسي إن حصل ذلك... اتركني... إذا حصل سأقتل نفسي.

(يسود الظلام وترتفع الموسيقى التي كانت خلال بداية المشهد... ترتفع بشكل صاخب وحاد...)

ص. المخرج: ستوب... من أين أحضرت الجملة الأخيرة؟! غير موجودة في الحوار!!

ص. مساعدة المخرج: قلت لك... إنها حياتها... وأنت أفسدتها بمشهدك هذا...

(يسود الصمت بعد أن تقطع الموسيقى فجأة)

(من الظلام يسمع صوت رشا المنفعل):

ص. رشا: سأقتل نفسي... لن أقتل نفسي... حصل... لم يحصل... غبت عن الوعي... لن أبرر... اقتل نفسي؟... لن أفرح النذل... سأقتله...

(ترتفع الإضاءة مع كلمة المخرج، رشا تجلس خلف الكنبة وتحدق في الفراغ الأمامي)

ص. المخرج: ستوب... لا تصوروا... أين مساعدتي؟!

ص. مساعدة المخرج: (بهدوء) موجودة... أراقب هستيريا بعد الاغتصاب.

ص. المخرج: نعطيها استراحة... نصور المشهد الذي بعده...

(تظهر مساعدة المخرج، ترفع رشا وهي تربت على شعرها وتحيطها بعناق حميمي لتقودها إلى خارج الخشبة... تنخفض الإضاءة، يسمع صوت المخرج الذي يبدو متأثراً الآن).

ص. المخرج: المشهد القادم... بلا دموع ولا هبل...

(تنخفض الإضاءة تدريجياً)

المشهد الثامن

(في الظلام يسمع صوت مساعدة المخرج، يبدو الصوت خفيضاً وعلى شيء من الحميمية):

ص. مساعدة المخرج: رشا... أين أنت؟! انقطعت الكهرباء... أعطني صوت أعرف منه أين أنت... رشا...(بصوت صارخ مفاجئ) أعطوني مصباحاً... فانوساً... أي مصدر ضوء... بسرعة...

ص. المخرج: أعطوها مصدر ضوء... لكن بهدوء...

(يظهر العامل، إنه يحمل مصباحين يدويين، يشعل أحدهما ثم يطفئه ليشعل الآخر، يفعل ذلك وكأنه يحاول فرض إيقاع معين).

ص. مساعدة المخرج: هل تلعب؟!

ص. العامل:... تفضلي.

ص. مساعدة المخرج: أعطيني المصباحين... (توجه أحد المصباحين إلى وجهه والآخر إلى وجهها)

العامل :وهل أقدر أن أرفض لك طلباً؟!

(يختفي العامل وتبدأ مساعدة المخرج بالبحث عن رشا مستخدمة المصباحين الكهربائيين، في حركتها شيء إيقاعي ومتوازن، من الممكن أن يتصاحب ذلك مع موسيقى أو إيقاعات متوترة).

مساعدة المخرج: رشا... أين أنت؟ رشا... دعيني أعرف إن كنت حية... مريضة؟ مجروحة؟! (تصرخ) رشا... رشا...

(بهدوء تام يجيبها صوت رشا الذي يبدو الآن عميقاً دون تلوين معين...)

ص. رشا: وراء الأريكة....

(تندفع مساعدة المخرج باتجاه الكنبة ولكن صوت رشا الصارم يجعلها تتوقف وهي تبحث بمصباحيها حتى تركزهما على الكنبة، تظهر رشا، تنهض من وراء مسند المقعد، يتضح أن رشا ترتدي ملابس سهرة تظهر أكتافها وصدرها وقد صفف شعرها وماكياجها مبالغ فيه للغاية... تبدو وكأنها امرأة أخرى رغم التعب والصرامة التي ترتسم على وجهها).

مساعدة المخرج: رشا... ما الذي فعلوه بك؟!

رشـــا : (بهدوء) أعجبك؟

مساعدة المخرج: إعجابي ليس مهماً.

رشـــا : لا انفع للفيلم؟!

مساعدة المخرج: أنا لا أقرر هذه الأشياء... أصلاً... لا دخل للفيلم.

رشـــا : من دخله إذاً؟ عمري... ؟!
مساعدة المخرج: ليس وقته هذا الكلام... هل أحضر لك شيئاً تشربينه؟
رشـــا :كونياك... طوال دراستي لم أشرب كونياك... كنت أؤجلها لوقت أفضل... (تصرخ) أبعدي الضوء عن وجهي!!
مساعدة المخرج: آسفة... لحظة وأعود لك...
(تضع مساعدة المخرج أحد المصباحين على الطاولة بشكل عامودي وبحيث ينتشر ضوء المصباح إلى الأعلى، في هذه الأثناء تجلس رشا على الكنبة وتظهر ساقها من شق طولاني في فستانها... تندفع مساعدة المخرج والذهول باد على وجهها وهي تلقي نظرات سريعة على رشا وهي تضيء لنفسها بالمصباح اليدوي الثاني... تتمتم رشا بأغنية شائعة هادئة اللحن... فجأة يصدح صوت المخرج).
ص. المخرج: عظيم... سنضيف هذا المشهد... لكن عليك أن تغني أغنية أخرى.
رشـــا : (تصرخ) دعني... لا تسمعني صوتك الآن!! أتفهم... سأرتكب جريمة... لا أريد سماعك... ولا رؤيتك ولا حتى التفكير بك... أتفهم أم تريدني أن أرتكب ما لا...
(تصمت وتصغي وحين تتأكد أن المخرج لم يعد يتكلم تهدأ... تدخل مساعدة المخرج، إنها تضع المصباح على صينية وضعت عليها ركوة قهوة وفنجانان وشمعة

ثبتت على كأس وزجاجة كونياك وقدحان، تضع كل هذا على الطاولة، رشا تحدق في نقطة واحدة وابتسامة ساخرة جامدة مرتسمة على وجهها، يبدو الارتباك على مساعدة المخرج وهي تحاول وضع الأواني والأشياء على الطاولة، تسقط المصباح، تشعل الشمعة، تصب القهوة، تمد رشا يدها لتأخذ زجاجة الكونياك، تسارع مساعدة المخرج بتقديم أحد الأقداح لرشا ولكن الأخيرة تفتح الزجاجة وتقربها من فمها، تشرب جرعة، يرتسم تعبير انزعاج على وجهها، تضع الزجاجة على فمها مجدداً وتتجرع جرعة، كبيرة، المساعدة المندهشة تسكب القهوة في الفنجان الذي يطفح بالقهوة وينسكب من حافة الفنجان).

مساعدة المخرج: رشا؟!

رشـــا : (بصوت قاس) انتبهي.... أنت تسكبين القهوة.

مساعدة المخرج: آسفة...

رشـــا : (بسخرية) أسهل شيء الاعتذار...

مساعدة المخرج: سأبدل الفنجان...

رشـــا : ليس ضرورياً... اقعدي... هل تشربي معي كونياك؟!

مساعدة المخرج: لا أشرب...

رشـــا : أبدا؟!

مساعدة المخرج: قصدي خلال العمل لا أشرب.

رشـــا : كأنك شرطي من فيلم بوليسي أميركي.

مساعدة المخرج: لأجلك فقط ... أشرب قليلاً.

رشـــا : هذه أول مرة تقومين فيها بشيء لي... شكراً.

(تمد مساعدة المخرج يدها بالكأس الفارغة، تسكب رشا السائل البني من الزجاجة تسكب بهدوء وهي تحدق بمساعدة المخرج، ينسكب السائل فتسحب مساعدة المخرج يدها بالكأس، ترتشف منه لتنقصه، ترتشف رشا القهوة ثم جرعة من زجاجة الكونياك وتعود للغناء بهدوء، مساعدة المخرج تجلس مقابلها تبدو أكثر هدوء وإن كانت تتجنب الآن النظر إلى رشا التي تنفجر ضاحكة بشكل مفاجئ).

مساعدة المخرج: ما بك؟ ما الذي حدث رشا؟!

(رشا تتابع ضحكها وهي تتجرع الكونياك الذي ينساب على رقبتها، مساعدة المخرج تراقبها بشيء من الترقب والخوف).

رشـــا : (تصرخ) هيا... ارفعي كأسك... سنشرب نخب الحياة التي بدأت الآن ...

مساعدة المخرج: رشا.... أرجوك... كفى

رشـــا : (تتابع) سنشرب نخب فيلمكم الذي خرّب حياتي...

مساعدة المخرج: رشا...

رشـــا : أنت تعرفين لماذا وافقت على تمثيل حياتي معكم؟! تعرفين لماذا؟! أجيبيني؟!

مساعدة المخرج: (تصرخ) لا أعرف

رشـــا : لأني... أريد... أن أنفذ فيلمي... كل شيء لأنفذ فيلمي... سأموت ولن أستطيع تنفيذ فيلمي... عرفت

لماذا وافقت على هذا الذل؟ لكي أرفع رأسي بفيلم لا أنت ولا المخرجين تحلمون به.

(تمسك مساعدة المخرج بيد رشا لتمنعها من مواصلة الشرب)

مساعدة المخرج: رشا يكفي شرباً...

رشــا : (بجدية مفاجئة) لا تتدخلي بي... على الأقل في هذه اللحظة...

مساعدة المخرج: رشا أرجوك... اعذريني...

رشــا : بعد ماذا...

مساعدة المخرج: غداً تنسين

رشــا : (بغضب) أنسى؟! اسكتي... لا أريد أن اسمع صوتك... ولا صوت غيرك لا أريد أن اسمع... حتى صوتي لا أريد أن اسمعه.

مساعدة المخرج: اهدأي يا حبيبتي.

(تنهض رشا وتشهر الزجاجة بحركة تهديد في وجه مساعدة المخرج التي تتراجع تحاول الإمساك بكتفيها ولكنها تتراجع).

ص. مساعدة المخرج: كما تريدين... سأتركك...

رشــا : وخذي معك الضوء... لا أريد أن أرى... ولا أريد أن اسمع... ولا أريد أن أعيش....

(تضرب المصابيح اليدوية واحداً تلو الآخر ثم الشموع حتى تنطفئ عن آخرها ويسود الظلام والصمت...)

المشهد التاسع

(من الظلام يسمع صوت المخرج الآمر):

ص. المخرج: أين مساعدتي؟!

ص. مساعدة المخرج: هنا...

ص. المخرج: خذي هذه المجلة لبطلتنا "الحساسة".

ص. مساعدة المخرج: وهيّ بهذه الحالة؟!

ص. المخرج: المقالة عن فيلمها ستنسيها حالتها.

(ترتفع الإضاءة في زاوية الخشبة، تمسك مساعدة المخرج بالكلاكيت تحت إبطها وبيدها مجلة أجنبية، تقلبها بحثاً عن المقال داخلها).

ص. المخرج: الصفحة الثالثة والعشرون... جائزة لفيلمها.

مساعدة المخرج: جائزة لفيلمها؟

ص. المخرج: ... المهم أن نتابع العمل... أرسلوا لها المقالة...

(تخرج مساعدة المخرج من دائرة الضوء، تنخفض الإضاءة لترتفع على الفور على ديكور غرفة رشا... ها هي رشا على الكنبة وقد جمعت جسدها وأحاطت ساقيها بساعديها، الإضاءة خافتة، رشا ليست نائمة بل

ما زالت تنظر في نقطة واحدة، يسمع رنين الهاتف بإلحاح، تدير رشا رأسها بالاتجاه الآخر... يصمت صوت الهاتف وعلى الفور يسمع رنين جرس الباب، يتصاعد القرع والرنين، يسمع صوت منى صديقة رشا...)

ص. منى: رشا... أرجوك افتحي الباب... أعرف أنك في البيت.

(تمد رشا يدها إلى خلف الكنبة، تتناول الصحيفة التي كانت بيد مساعدة المخرج).

ص. منى: جلبت لك آخر مقال كتب عنك...

(تلتفت رشا بإتجاه الباب والدهشة مرتسمة على وجهها، تتمتم وهي تتفحص الصحيفة التي بيدها).

رشـــا : مقال عني؟! أيضاً؟!

ص.منى: افتحي رشا... لن أرحل حتى أراك...

(ترمي رشا بالصحيفة على الطاولة، تنهض، تترنح، تتماسك وتتوجه إلى الباب وهي ترتب شعرها).

رشـــا : قادمة لأفتح...

(يسمع صوت فتح الباب ثم صوت منى).

ص.منى: رشا... أخفتني عليك.

(تظهر الاثنتان، تستوقف منى صديقتها وتحدق بها، تحاول رشا التهرب).

منـــى : دعيني أراك؟! لم ينقصني شيء... حمام والقليل من صباغات وثياب مثيرة وتعودين للقتال.

رشـــا : أين ابنك؟!

منـــى : مع أبيه... أوف.. أنت تدخنين كثيراً.

رشـــا : أين المقال؟!

منـــى : فيما بعد... يجب أن تغيري هواء الغرفة... اذهبي وخذي دوشاً وأنا سأرتب كل شيء.

رشـــا : أعطيني المقال...

منـــى : رشا... أنا آسفة...

رشـــا : أعطيني...

منـــى : حسناً دعينا نشرب القهوة أولاً...

رشـــا : أريد أن أقرأ ماذا كتبوا عني أولاً...

منـــى : رشا... هل ما زلت تحبينني؟!

رشـــا : أحبك.

منـــى : ومستعدة لأن تضحي لأجلي؟!

رشـــا : بحالتي هذه لا أستطيع فعل شي (تصرخ فجأة) أين المقال! أعطيني إياه فوراً...

(تصاب منى بالذعر، تخرج الصحيفة من حقيبتها وتقدمها لرشا بتردد)

منـــى : واضح أن الذي كتب المقال حاقد عليك..

رشـــا : علي أنا؟ (تبحث في الصحيفة فتجد المقال) لكني لا أعرف صحافياً بهكذا اسم.

ص.منى: هل تشربين قهوة أم نسكافية؟!

رشـــا : لا فرق...

(تمضي منى، رشا تقرأ ويدها ترتجف، تبقي بصرها للحظات وهي مندهشة ثم تتابع القراءة، يسمع صوت منى مع ضجيج أواني المطبخ).

ص.منى: ألم أقل لك؟... اتفقنا على الطلاق.

رشـــا : (تقرأ) ورغم الجائزة البرونزية المزعومة... فقد أثبتت أفلامها القليلة أنها عديمة الموهبة.

ص.منى: تصوري... كنا نتشاجر ومن قلب الدنيا قلت له: طلقني...

رشـــا : (تقرأ) ولا نعلم دوافع المهرجان لإعطائها جائزة ولكن لا بد أن وراء الأكمة ما وراءها.

(تظهر منى، إنها تحمل صينية عليها معدات قهوة وشاي).

منـــى : تصوري يا رشا... ما أن قلت له: طلقني... حتى قال لي: اليوم قبل غداً.

رشـــا : (تقرأ بغضب) وهذا يثبت إن مخرجاً نفذ لها الفيلم... عشيقاً لها... مخرجاً شهيراً في أوروبا... وقد يكون أستاذها... إذ يقال إن علاقاتها الشخصية كانت...

منـــى : جمدت بمكاني... ارتبط لساني.

(تبدأ منى بسكب الشاي والقهوة)

رشـــا : (تقرأ بغضب أكبر)... فضح أمثالها من أدعياء الفن والثقافة.

منـــى : صرخت بوجهه...رميته بما كان في يدي بوجهه... بكيت.
رشـــا : معقول؟ لهذا الحد؟!
منـــى : بكيت وصراخي ملأ البيت.
رشـــا : من أين كل هذا الحقد والكراهية؟!
منـــى :... بدا لي أن لا حدود لحقده... لكراهيته
رشـــا : وهذا الكذب... التلفيق... أنا وأستاذي؟!
منـــى : كنت أغفر له الكذب لكن الخيانة؟!
رشـــا : كيف يتحدث عن فيلم لم يره، وشخص لا يعرفه.
منـــى : يعرفها... وضبطتهما مع بعض.

(تقدم منى فنجان القهوة لرشا التي ما زالت واقفة وقد أنزلت الصحيفة من يدها، تمد يدها لأخذ الفنجان، لأنها لا تنظر بإتجاه منى والأخيرة لا تنظر إليها، يسقط الفنجان بينهما، رشا تسقط الصحيفة وتندفع الاثنتان لعناق قوي وتقولان معاً):

منى ورشا: كم أنا تعيسة...

(تنخفض الإضاءة بشكل مفاجئ ويسود الظلام...)

(يسمع صوت المخرج يقول بتكاسل بل ويتثاءب خلال كلامه):

ص. المخرج: مساعدتي العزيزة!!

(ترتفع الإضاءة على المساعدة في زاوية الخشبة، إنها تجلس على صندوق كاميرا وبين يديها كمية كبيرة من أوراق السيناريو).

مساعدة المخرج: نعم... أمر

ص. المخرج: ما بك... لماذا تكلميني هكذا.

مساعدة المخرج: آسفة... لا شي... منزعجة قليلاً.

(تحاول مساعدة المخرج التظاهر بالانشغال بأوراق السيناريو والعصبية تبدو عليها)

ص. المخرج: وما هي الأسباب إذا لم يكن سراً؟!

مساعدة المخرج: هذا السيناريو الـــ...

ص. المخرج: لا... واضح أنكم تتمادون كثيراً.

مساعدة المخرج: آسفة... ما كان قصدي.

ص. المخرج: لن أحاسبك الآن... لأني مشغول... تصورين المشهد وتمثلين فيه.

مساعدة المخرج: أنا؟!

ص. المخرج: لم لا ؟! أنا مشغول بإعلان عن صابون "النظافة".

مساعدة المخرج: لكن أنا لا أمثل.

ص. المخرج: رشا ليست أفضل منك... وأيضاً أنت أصبحت جزءاً من عمرها.

مساعدة المخرج: (تتمتم) وأنت تفكر... تريد أن تقصف عمري أيضاً...

ص. المخرج: هيا... لا تضيعي الوقت... استعداد... وأنا ذاهب

مساعدة المخرج: أين الكلاكيت؟!

(تندفع لتبحث عن الكلاكيت وهي تجر صندوق الكاميرا والأوراق تتساقط من يديها فتجمعها، تخرج

الصندوق والأوراق وتعود على الفور وبيدها الكلاكيت).

مساعدة المخرج: (تصرخ) استعداد... كاميرا... الإعادة الثالثة للعمر... المشهد... المائة وواحد وتسعون... الإعادة الأولى... تصوير...

(تصفق عارضة الكلاكيت، تختفي الإضاءة عن زاوية الخشبة حيث كانت، ترتفع الإضاءة في غرفة رشا حيث تجلس للتو مساعدة المخرج ومقابلها رشا المتوترة).

مساعدة المخرج: ومع ذلك... يجب أن تفكري بأنه لم يحدث شي.

رشـــا : حدث...

مساعدة المخرج: قولي لنفسك... كان تمثيلاً.. كذباً بريئاً.

رشـــا : لا، بريء جداً.

مساعدة المخرج: رشا... يجب أن أصارحك... أنا كامرأة... نحن يومياً نغتصب، كل دقيقة.. إن لم يغتصبوا جسدنا... يغتصبون روحنا... حتى أجورنا يغتصبونها.

رشـــا : أستغرب إنك أنت تقولين هذا الكلام.

مساعدة المخرج: لا تستغربي... أنا أيضاً إنسان... كما أنت...

رشـــا : أنت مختلفة عني...

مساعدة المخرج: طبعاً مختلفة... لأني أداة... يجوز أنت تتجاوزين المحنة... الامتحان وتصبحين مخرجة... أنا سأبقى مساعدة... يعني أداة...

رشـــا : أنت شاهد على الشر... وساكتة عنه.
مساعدة المخرج: تعرفي أن المخرج هو كل شي.
رشـــا : وأنت تساعدينه على فعل الشر.
مساعدة المخرج: ليس بيدي أن أفعل شيئاً... حدودي أعرفها...
رشـــا : ما اسمك؟
مساعدة المخرج: مساعدة المخـــ... (تستدرك) قصدي عصام.
رشـــا : إنه اسم رجل.
مساعدة المخرج: اسم للرجال وللنساء... لا فرق.
رشـــا : ألا تريدين أن تصبحي مخرجة؟!
مساعدة المخرج: وهل أنا مجنونة؟!
رشـــا : يعني برأيك أنا المجنونة.
مساعدة المخرج: وتدفعين ثمن جنونك.

(يسمع رنين الجرس، تنتفض مساعدة المخرج وتعدل ملابسها وشعرها).

مساعدة المخرج: جاء... هذه طريقته برن الجرس...
رشـــا : سأفتح الباب.

(تنهض رشا وتتوجه إلى الباب، يسمع صوت المنتج ويظهر على الفور، إنه يحمل أصيصاً فيه نبات من البلاستيك وقد زين بشريط لامع وفيه وردة حمراء حية).

ص.المنتج: أعتذر عن التأخير... أصبحت مدينتنا مكتظة بالسيارات كما نيويورك... هذه لك...

(يقدم المنتج الأصيص لرشا التي تدهش وتتلمس الأوراق البلاستيكية الخضراء).

رشـــا : نبات بلاستيكي؟!

المنتج : يبقى أخضراً.

رشـــا : لكن لا حياة في البلاستيك؟!

المنتج : وما الفائدة من وردة حمراء تذبل بعد يومين؟ (لمساعدة المخرج) كيف الحال؟

مساعدة المخرج: عظيم... (تنهض) سأترككم حتى تتفقا.

رشـــا : ذاهبة؟!

مساعدة المخرج: تعرفين أن كل العمل علي.

رشـــا : وكيف ابقي وحدي معه؟!

المنتج : خائفة مني؟!

مساعدة المخرج: معها حق أن تخاف منك... عن أذنك...

(تقول وتلوح بيدها وتمضي خارجة، يجلس المنتج وتحار رشا ماذا تفعل بأصيص النبات، تضعه على الطاولة وتجلس).

المنتج : لم ترجعي لعندي فقررت أن آتي أنا لعندك... أريد أن اعتذر لك عن الذي حدث المرة الماضية... كنت اختبرك.

رشـــا : تختبرني؟! أخلاقياً؟!

المنتج : ليس قصدي... كنت اختبر جديتك و..

رشـــا : (مقاطعة) ولا يوجد طريقة للاختبار غير الدعوة لممارسة الجنس؟!

المنتج : لو قبلت لما كنت كلفتك بالعمل الذي قدمت بشأنه...

رشـــا : وما هو هذا الشغل الذي يحتاج إلى هكذا اختبار؟!

المنتج : أريدك أن تكتبي لي سيناريو تلفزيوني... ملحمة... مثل تاريخ البشرية.

رشـــا : تاريخ البشرية كله... بنص تلفزيوني واحد؟!

المنتج : ولمَ لا... أنت درست بأوروبا وسهل عليك كتابة هكذا سيناريو.

(يرن جرس الباب، تنظر رشا باتجاه الباب ثم تنهض)

المنتج : هل تنتظرين أحد؟!

رشـــا : لا... سأرى من.

(تمضي وتفتح الباب، تسمع صوت قبلات وكلمات ترحيب وتدخل رشا مع امرأة هي أم يوسف يتضح أنها مالكة الشقة التي تسكنها رشا).

ص. أم يوسف: رشا؟ لا أصدق عيوني... الله يرحم والدك الأصيل.

(تدخل أم يوسف وهي امرأة بملابس متواضعة، تصمت حين ترى المنتج وينقلب تعبيرها البشوش ليصبح أكثر صرامة ينهض المنتج ويمد يده ولكنها تتجاهلها).

أم يوسف: كان يدفع أجرة البيت قبل موعدها بيومين.

(تدخل رشا، تجلس أم يوسف دون استرخاء).

رشـــا : أعرفك على السيد... المنتج.

أم يوسف: (تتمتم) ولا تعرفين اسمه أيضاً.

رشـــا : وأظن أني لم أقصر بدفع الأجرة خالة أم يوسف.

أم يوسف: أجرة؟! الآن الذي تدفعيه اسمه أجرة؟! يا حسرة، ذهبت بركة النقود ولم يعد لها قيمة.

(ينظر المنتج حوله وقد رأى أن الوضع بدأ يتوتر، ينهض ويهم بالتوجه إلى الباب).

المنتج : واضح أنه حديث خاص... سأستأذن.

رشـــا : لا لا يا أستاذ... بإمكانك الجلوس.

أم يوسف: لا حديث ولا بطيخ... كلمتين لا غيرهما أريد الشقة أو ثمن حصتي فيها.

رشـــا : نعم؟!

أم يوسف: مثلما سمعتي... إما إن تخلي وتأخذي نقوداً، أو تبقين وتدفعين لي.

رشـــا : لكن أنا... لا أملك نقوداً... ولا يوجد مكان أذهب إليه.

أم يوسف: لهذا جئت... خذي ما يقسمه لك الله وبالتيسير.

رشـــا : وكم؟!

أم يوسف: تلاتمية ألف...

رشـــا : لكن قالوا لي إن سعر البيت يقارب مليونين ونصف.

أم يوسف: ادفعي لي مليون ونصف وأنا أتركه لك .

رشـــا : ومن أين لي... أم يوسف ما تقوليه لا عدل فيه.

أم يوسف: وما تفعلينه لا عدل فيه... تدفعين قروشاً وتتعمين بملك غيرك؟ بلا ضمير..

رشـــا : أم يوسف...

المنتج : أظن أنك بالغت يا سيدة.

أم يوسف: أنت أسكت أفضل من أن أحضر شرطة الأخلاقية أنت وهي.

رشا والمنتج: ماذا؟!

(تنهض أم يوســف وتقترب من أصيص النبــات البلاستيكي وهي في طريقها للخروج).

أم يوسف: لا أعرف كيف هذا الزرع يبقى أخضراً عند واحدة مثلك.

المنتج : بلاستيك أم يوسف... بلاستيك.

أم يوسف: أنت لا توجه لي كلام أبداً (لرشا) وأنت معك أسبوع لتردي.

رشـــا : أم يوسف...

(تخرج أم يوسف ويسمع صوت صفق الباب، تندفع رشا وراءها ولكنها تتوقف فجأة وتطرق، يخرج المنتج عدة أوراق، يضعها أمامه على الطاولة ثم يخرج قلما في الهواء باتجاه رشا التي تلتفت إليه وكأنها لا تعي ماذا يحدث).

المنتج : أظن أنه لا خيار لك في توقيع العقد.

رشـــا : عقد؟ أي عقد!

المنتج : عقد كتابة النص... أنا متأكد أنه لا يوجد أحد سيكتب لي الذي أريده غيرك.

(تقترب رشا بخطوات آلية، تأخذ القلم دون حماس تنحني فوق الأوراق يشير المنتج إلى مكان محدد على الأوراق):

المنتج : هنا يا آنسة رشا... مبروك...

(يسود الظلام، يسمع صوت إغلاق الباب وعلى الفور ترتفع الإضاءة في حيز محدد وضعت فيه مرآة طولانية، تظهر رشا من الظلام وتتجاوز المرآة، تتراجع لتدخل حيز الضوء وتنظر إلى المرآة ثم تطرق، تنظر ثانية وتتمتم بدهشة):

رشـــا : رشا؟ أنت... رشا؟! لم أعد أعرفك... بسرعة تغيرت ... والآن ماذا ستفعلين؟!

(تقترب من المرآة أكثر وتتفحص شعرها وتبتسم بأسى)

رشـــا : لا يوجد شيب حتى الآن... والقلب شاب باكراً...

(تجلس على ركبتيها)

رشـــا : لم يعد هناك أحلام...

(تظهر منى وهي تحمل الرضيع، تدخل متسللة وكأنها كانت في الغرفة المجاورة تجلس وهي تهدهد الطفل وتدندن له بترنيمة، رشا تتابع وكأنها لا تراها).

رشـــا : الطموحات هربت... والمشاريع تبخرت... والأفلام بقيت في الخيال...لم تعد فيه زنوبيا ولا «ذهب مع الريح»... لا جوليا دومنه ولا يوسف العظمة... كلها تبخرت...

(تلتفت مجدداً إلى المرآة، تنهض تدريجياً حتى تقف)

رشـــا : اكتبي... ليل نهار اكتبي... حتى تشتري بيتاً وخبزاً... علبة ماكياج وحلياً ... اكتبي واكتبي واكذبي على الناس بأن الحياة حلوة.

منـــى : طلقني بالثلاثة.

رشـــا : لن أدرب ممثلة على أدوار الحب؟ ولن أقود مجموعة التصوير... لن اسهر الليالي على المونتاج؟!

منـــى : خسرت كل شي يا رشا... كل شي.

رشـــا : ليس كل شي... أنا ساكتب حتى أقف على قدمي... توجد بالعمر بقية.

منـــى : وثلاثة أولاد وواحد على الطريق...

رشـــا : بالعمر بقية... بالعمر بقية... بقية...

(تنخفض الإضاءة تدريجياً حتى يسود الظلام).

المشهد العاشر

(من الظلام صوت مساعدة المخرج الذي تبدل قليلاً وأصبح أكثر صرامة وحدة).

ص. مساعد المخرج: استعداد... مشاهد قصيرة... بدون توقف، ولا تلكؤ... استعداد... إضاءة...

(تضاء الخشبة، رشا تجلس مفترشة وسادة وضعت على الأرض بالقرب من الطاولة الصغيرة، على الطاولة أوراق ومجلدات وكتب، رشا منكبة تكتب وحولها بعض الأوراق المبعثرة وسلة مهملات فيها بعض الأوراق المدعوكة...)

ص. مساعد المخرج: استعداد... كلاكيت!

(يظهر العامل وهو يحمل الكلاكيت، يقف أمام رشا ويقول وهو يتثاءب):

العامل : الإعادة الثالثة للعمر... المشهد المائتان وستة... الإعادة الأولى... تصوير.

(يبتعد بعد أن يضرب عصا الكلاكيت... على الفور يرن جرس الهاتف... لا ترفع رشا رأسها بل تتابع الكتابة وترفع السماعة وهي تكتب):

رشـــا : آلو... نعم أستاذ... أنا أكتب... لا أعرف... بجد أعجبك؟! شكراً لك تقصد البطل؟ وضحت بالمشروع أنه سيحب امرأة أخرى بالحلقة السادسة من السيناريو، قصدك واحدة ثالثة؟ هكذا زيادة؟! طيب... أفكر...

(تضع رشا السماعة وتنظر حولها، تأخذ رزمة من الأوراق تتصفحها وهي تفكر، فجأة يصدح صوت مساعدة المخرج):

ص. مساعدة المخرج: ستوب... الذي بعده... بسرعة... رشا بدلي شيئاً من ثيابك بسرعة، سيصل المخرج...

(خلال كلام مساعدة المخرج يدخل العامل، تنهض رشا، الاثنان يعملان في ترتيب بعض الكتب، العامل يأتي بصينية عليها الكثير من الكؤوس، يضع بعضها على الطاولة والبعض الآخر على الأرض، يخرج كيساً صغيراً من جيبه يفرغ ما فيه من أعقاب للسجائر داخل المنفضة بحيث تمتلئ، يأخذ سيجارة دخنت لمنتصفها ويشعلها، في هذه الأثناء تأتي رشا بشال وتضعه حول كتفيها، ترتدي جرابات صوفية وترفع شعرها لتضع فوقه قبعة صوفية قديمة، يأتي العامل بالكلاكيت).

ص. مساعدة المخرج: استعداد... إضاءة.

(تنخفض الإضاءة وتنحصر في بقعة حول غرفة رشا التي تجلس على الكنبة وتأخذ مجموعة من الأوراق وكأساً، يرفع العامل الكلاكيت أمام رشا).

ص. مساعدة المخرج: كاميرا... بلا كلاكيت... تصوير...

(يمضي العامل خارجاً، يرن جرس الباب بإلحاح، تنهض رشا بتثاقل):

رشـــا : ما الذي حدث؟... قادمة... لحظة

(تختفي لتفتح الباب، يسمع صوت صرير الباب ثم صوت المنتج الذي يبدو منفعلاً):

ص. المنتج: ما هذا يا آنسة رشا؟!

رشـــا : خير؟ ما الذي حدث؟!

(يدخل المنتج وبيده مظروف كبير فيه حلقات مسلسل يخرجها ويرمي بها على الطاولة)

المنتج : هذا بطل هذا... هذا خروق؟!

رشـــا : لكن أنا أرى...

المنتج : لا يهمني ما ترينه ... يهمني ما الذي سيراه الناس... أريد بطلاً.. ملحمياً عملاقاً... قوياً... لا يخطئ ولا يتردد ولا يغرق ولا يحترق...

رشـــا : اعتقدت أن قوته الداخلية.

المنتج : -مقاطعاً- الداخلية؟ وكيف ستراها المرأة وهي تحضر العشاء لزوجها؟ كيف سيكتشفها الرجل الغارق بتعبه؟ والبنت التي تحلم بفارس الأحلام؟ تريدين منهم أن يحزروا أم يبحثوا عن هذه القوة الداخلية التي تقولين عنها؟!

رشـــا : لكنه سيظهر قوياً أمام عيونهن... وسيصبح بطلاً... ملحمياً.

المنتج : بعد أن يملوا ويقبلوا على مسلسل غيره... كلمه واحدة أقولها... هذا نصك...إما تعدليه مثلما أريد أو ترجعين السلفة ويذهب كل واحد بحال سبيله.

رشـــا : يعني أنت ترفض السيناريو؟.

المنتج : أنا أرفض هذا البطل الذي كما الخرقة البالية...

رشـــا : خرقة؟!...

المنتج : وألعن من ذلك أيضاً... بخاطرك... رقم هاتفي عندك... (يمضي باتجاه الباب ويختفي، يسمع صوت صفق الباب)

رشـــا : ما قصده؟ كيف يمكن أن أصنع إنساناً كله عواطف ولحظات قوة وضعف كيف يمكن أن أجعله مثل «رامبو»؟!

(يسود الظلام ورشا واقفة وهي تضم حلقات المسلسل)

ص. رشا: لا... لا أستطيع... لن أنفذ ما طلبه... هذا بطلي... بطلي أنا...

(يصدح صوت مساعدة المخرج وعلى الفور ترتفع الإضاءة فيدخل العامل إلى حيث غرفة رشا، رشا نائمة على الكنبة، العامل يقوم بجمع بعض الأشياء وينظف المكان ويفرغ القاذورات ضمن كيس أسود).

ص. مساعدة المخرج: المشهد التالي... بلا انفعال... كل شيء يتم بهدوء... بطلتنا وكأنها اكتسبت الحكمة... هيا استعداد.. إضاءة.

(العامل يخرج الكيس، تتبدل الإضاءة لتصبح على غرفة رشا فقط، يسمع صوت راديو ومنه أغنية قديمة لزكريا أحمد، يدخل العامل وهو يحمل الكلاكيت يقف أمام رشا ويضرب بعارضتها وهو يقول بعملية هادئة):

العامل : الإعادة الثالثة للعمر... المشهد الثلاثمائة وعشرة.

ص. مساعدة المخرج: وأحد عشر.

العامل : (يكرر) وأحد عشر... الإعادة الثالثة... تصوير...

(يبتعد العامل فيرن الهاتف على الفور، تتململ رشا وتستيقظ دون تعجل... ترفع سماعة الهاتف وتقول بصوت ناعس):

رشـــا : آلو... آلو... آلو... هذا أنت؟ ... اسمع يا وليد ... ما حدث وأنا لا أريد (تصمت) أرجوك (تصمت) من قال لك؟ أعدت كتابة تسع حلقات شكراً... لم أتوقع أن يعجب واحد مثلك... المنتج كلفك بالبطولة؟! طيب... على كل حال عندي طلب منك... أرجوك لا تتصل بي... أرجوك... لا أريد أن أراك ولا أن أسمع صوتك ولا أن أعمل معك... مع السلامة.

(تضع رشا سماعة الهاتف وتزفر، يرن جرس الهاتف ثانية، تنظر وتنهض. يرن جرس الباب، تقف بين الباب والهاتف، تنقل بصرها بالاتجاهين... تبتسم وتتمطى وتقول بمرح):

رشـــا : لن أفتح... ولن أرد على الهاتف... سأقف تحت الدوش... حتى يفرجها الله...

(تنخفض الإضاءة ورشا تجمع بعض الأشياء من الغرفة، على الفور يصدح صوت مساعدة المخرج):

ص. مساعدة المخرج: دون توقف... لننتقل إلى المشهد التالي... إضاءة... كاميرا، كلاكيت.

(ترتفع الإضاءة، يجلس المنتج على الكنبة، على الطاولة التي فرغت من الكتب والمجلات يوجد نص تلفزيوني ضخم، المنتج يدخن غليونه ويبدو هادئاً... يظهر العامل وبيده الكلاكيت يقول بآلية ويصفق عارضة الكلاكيت ويمضي...)

العامل : الإعادة الثالثة للعمر... المشهد المائتان وأربعة وعشرون... الإعادة السادسة...

(يضع المنتج الغليون في فمه ويحمل النص التلفزيوني وكأنه يزنه، تدخل رشا إنها بملابس الخروج، يضع المنتج النص على الطاولة):

رشـــا : أنا آسفة... مضطرة للذهاب... عندي موعد.

المنتج : وأنا مستعجل هذا المبلغ هو الدفعة الثالثة، والرابعة بعد التصوير والمونتاج... عدّي المبلغ.

رشـــا : أنت عديته يكفي...

المنتج : عندي طلب أيضاً... أريدك أن تعدلي بعض المشاهد.

رشـــا : أيضاً تعديل؟ أظن أن غيري من كتاب السيناريو لا تطلبون منهم...

المنتج : (مقاطعاً) تعديل رقابي... طلبته بعض المحطات... مثلاً تعدد الزوجات.

رشـــا : ليس عندي تعدد زوجات بالسيناريو.

المنتج : فيه مشهد لجار خطيبة البطل... الجار متزوج اثنتين.

رشـــا : بسيطة... نجعل الثانية أخته. وماذا أيضاً...

المنتج : وفيه مشهد البطل مع بنت خالته في الغرفة لوحدهما.

رشـــا : وهذه ما بها.

المنتج : ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما...

رشـــا : نضع معهما أخوها الصغير...

المنتج : على كل هي قائمة... كلها بسيطة ولا تأخذ عملاً كثيراً.

(تأخذ رشا الورقة منه وتنظر إليها فيرن جرس الباب، ينهض المنتج، تتوجه رشا إلى الباب وهي تقرأ في الورقة، يسمع صرير الباب وصوت الشرطي):

ص. الشرطي: هذه ثالث مرة آتي... كنا سنكسر الباب.

ص. رشا: تكسروا الباب؟ لماذا خيراً؟... ما الذي حدث؟!

(يدخل الشرطي ووراءه رشا، يخرج الشرطي ورقة ويقدمها لرشا ثم يفتح دفتره ويقدم لها قلماً).

الشرطي: وقعي لي على التبليغ!

رشـــا : تبليغ؟ ماذا؟ اشرح لي الأمر؟!

الشرطي:صاحبة البيت كسبت دعوى بالإخلاء... التنفيذ خلال أسبوع من التبليغ...

رشـــا : إخلاء؟ كيف يعني... هكذا أخرج من البيت الذي ولدت فيه... من البيت الذي مات فيه أبي.

الشرطي: يا آنسة... المرأة كسبت حكم... وأنصحك بتنفيذه دون مشاكل... بعد أسبوع نعود... السلام عليكم.

(يخرج الشرطي... يقترب المنتج منها ويضع يديه على كتفيها ويجذبها)

رشـــا : اعتقدت أني أرضيتها.

المنتج : طولي بالك يا رشا... كل مشكلة لها حل.

(تنتبه رشا إلى أنه يحاول ضمها، تدفعه بقسوة وتصرخ)

رشـــا : الآن وقتك يا نذل...

المنتج : لا تكبري الكلام... أنا قصدي أن أساعدك.

رشـــا : واضح...

(يتوجه المنتج إلى الباب وقبل أن يخرج يقول لها بود):

المنتج : اتصلي... قد نجد لك بيت تستأجرينه...

(يسود الظلام ويدا رشا ترتجف وهي تمسك برزمة النقود التي أعطاها إياها المنتج وورقة التبليغ بالإخلاء ... من الظلام يسمع صوت تحطم زجاج ترتفع إضاءة خافته، تقف رشا وهي تضم حقيبة السفر وقد خرجت

منها أجزاء من الملابس وأوراق وتبدو مشعثة الشعر جامدة النظرات، تتمتم ويرتفع صوتهامع نهاية المقطع الشعري):

رشـــا : «نسافر كالناس، لكننا لا نعود إلى أي شيء... كأن السفر طريق الغيوم.

دفنّا أحبتنا في ظلام الغيوم وبين جذوع الشجر»

(تسقط رشا الحقيبة فيتبعثر ما بها وتنفتح):

رشـــا : «لنا بلد من كلام. تكلم تكلم لأسند دربي على حجر من حجر لنا بلد من كلام. تكلم تكلم لنعرف حدا لهذا السفر!»

(تنظر رشا حولها، تبدأ بجمع الأشياء وحشرها داخل الحقيبة، تنخفض الإضاءة تدريجياً، يسود الظلام)

المشهد الحادي عشر

(يصدح صوت المخرج في الظلام).

ص. المخرج: أين مساعدتي؟ أين هي؟!

ص. مساعدة المخرج: أنا هنا...

ص. المخرج: أريد أن أشكرك...

ص. مساعدة المخرج: لا شكر على واجب يا سيدي...

ص. المخرج: سنبدل النهاية.

ص. مساعدة المخرج: أيضاً؟ نريد أن نتدخل بمصيرها؟!

ص. المخرج: ماذا نفعل إذا كان مصيرها مأساوي وحزين؟ الجمهور بحاجة لشيء مفرح... هيا... اذهبي وأعطيها المشهد الأخير.

(ترتفع الإضاءة، اختفى الأثاث وأصبحت الخشبة فارغة إلا من بعض الأسلاك الكهربائية ورؤوس الإضاءة وأعمدتها... في منتصف الخشبة جلست رشا على إحدى حقيبتين، كما في المشهد الأول، إنها ترتجف، يظهر المنتج، يبدو رقيقاً إنه يحمل صحيفة، يقف إلى جانب رشا):

المنتج : مقال ثاني... يتهمونك هذه المرة بسرقة الأفكار والسيناريوهات.

رشـــا : ما الذي يبقى لعديم الموهبة غير أن يسرق الأفكار الموهوبة...

المنتج : المسلسل بيع لسبع محطات... ثلاثة منهن فضائيات...

رشـــا : لأن المخرج قام بما يريدون...

المنتج : جدّ؟! هل نستطيع أن نعارضهم أو نقول غير ما يريدون هم؟!

المنتج : الكلام معك أصبح صعباً... بخاطرك...

رشـــا : مع السلامة... وشكراً.

المنتج : على ماذا؟!

رشـــا : أعطيتني كل أجري... ولم تصدق كلام الصحف إني أسرق أفكار.

المنتج : أين ستذهبين الآن؟!

رشـــا : إلى حيث يريد هو (تشير بيدها إلى أعلى).

المنتج : فهمت... كانت فرصة طيبة أني تعاملت معك... يجب أن أعتذر منك.

رشـــا : لا داعي... مع السلامة...

(يخرج المنتج مسرعاً، تنهض رشا وتهم بحمل الحقائب، تندفع مساعدة المخرج باتجاهها، إنها تحمل عدة أوراق والكلاكيت...)

مساعدة المخرج: إلى أين ذاهبة؟!

رشـــا : لا أعرف...

مساعدة المخرج: لكن سنصور المشهد الأخير...

رشـــا : الذي صورتموه الآن أليس الأخير؟

مساعدة المخرج: لا طبعاً... يوجد مشهد... جميل جداً؟!

رشـــا : لم أعد أرغب...

مساعدة المخرج: ما هذا الكلام؟ لماذا لا تريدين؟!

رشـــا : لأني اكتفيت... لم أعد أريد فيلماً عن حياتي... ولا أريد لهذه الحياة أن تعرض على الشاشة... أريد أن أعيش الحياة.. لا أريد أن أكون العيش...

مساعدة المخرج: رشا... لا يجوز هذا الشيء... لا قانونياً ولا أخلاقياً ولا حتى مهنياً.

رشـــا : ألم أقل لك... إنك شاهد على الشر... والآن ستصبحين الشر بعينه.

مساعدة المخرج: لكن قررنا أن نضيف مشهد حب سعيد ينتهي فيه فيلمك.

رشـــا : حب؟! بوضعي هذا؟. ومن سأحب... الذي اغتصبني أم الذي عصر دماغي وأفرغ مخيلتي؟! أم تريديني شهيدة حب غير مرئي؟! مخرجك مثلاً...

مساعدة المخرج: رشا... لا تبالغي... أنت شابة... والحياة أمامك...

رشـــا : بعد أن تلطخت وانكسرت والروح ماتت؟!

مساعدة المخرج: رشا... أرجوك اهدأي... أصلاً أنا مضطرة أن أجبرك على تنفيذ الفيلم.

رشـــا : سأنفذ الفيلم الذي في مخيلتي...

مساعدة المخرج: وهل وجدت ممولاً؟

(أثناء كلام مساعدة المخرج، تجلس رشا القرفصاء، تخرج من الحقيبة آلة تصوير فيديو منزلي، تمسح عنها الغبار وتقف مقابل مساعدة المخرج).

رشـــا : سأكون أنا الممول والمؤلف والمخرج... لكن هذه المرة ستكونون أنتم الممثلين.

(تخفي مساعدة المخرج وجهها وتبتعد متراجعة).

مساعدة المخرج: أرجوك.... لا تصوري... لا أريد أن أكون بطلة... لا أريد أن أعاني ما عانيته... رشا...أرجوك أنا سأذهب.

ص. المخرج: ابق مكانك... أحضروا البطل... بسرعة... إضاءة... كلاكيت... صمت ولا همسة... كاميرا...

(يندفع وليد إلى إلى الخشبة، إنه يحمل الكلاكيت وباقة زهور، رشا ومساعدة المخرج تقفان والدهشة مرتسمة على وجهيهما، الكاميرا ما زالت بيد رشا يضع وليد الكلاكيت أمام وجه رشا ويصفق عارضتها وهو يتمتم بصوت حاد منفعل):

وليـــد : الإعادة الثالثة للعمر... المشهد الثمانمائة وتسع وتسعون... الإعادة العاشرة... تصوير!!

(يرمي وليد بالكلاكيت لمساعدة المخرج التي تتلقفها وتنظر إلى رشا نظرات حائرة، رشا ترفع آلة التصوير باتجاهها، تتراجع مساعدة المخرج فتمضي رشا قدماً ملاحقة إياها).

مساعدة المخرج: (تتمتم لرشا) أريدك أن تعذريني... لم أقصد إيذاءك... الحياة صعبة وعملنا قاس... أنا ... كنت... حاولت... لم أقدر...

رشــا : هيا... تكلمي... ألم تحفظي دورك... هذه فرصتك الأخيرة...سيطردونك اعتذري...اشكريني...امتدحيني... لماذا أنت ساكتة.

مساعدة المخرج:لا أريد... أنا... لا أريد... لا أقدر... لا أريد.

(تقول مساعدة المخرج وتهرول خارجة ورشا تلاحقها... ما أن تخرج حتى تتوقف رشا وتعود وتبتسم، تنظر إلى وليد الذي يعدل من ثيابه ويرفع باقة الزهور تتوجه رشا إليه، ترفع الكاميرا):

(يصدح صوت المخرج)

ص. المخرج: برافو... أكملي رشا... لا تتوقفي... لا توقفوا الكاميرا... دعي كل شي طبيعي.

رشــا : هيا... تكلم... تحبني؟... هذه فرصة عمرك لتمثل صح ولو مرة... قل..

وليــد : رشا... أنا طبعاً أحبك...

رشــا : في الفيلم... وفي الحياة... تحبني؟!

وليـــد : أنا... لا... لا يجوز ذلك... بالفن لا يجوز الخلط..
رشـــا : لماذا؟... كنت تثرثر عن الفن الصادق ... والصدق بالفن... هيا... أرنا صدقك ليس لفيلمه (تشير إلى أعلى) لفيلمي أنا... هذا هو الفيلم الذي سيدخلك التاريخ.
وليـــد : لكن أنا لم أقبل أن أمثل بفيلمك...
رشـــا : قل: لم تقبض على التمثيل بفيلم... لا تنسى أنك اغتصبتني.. أي أخذت أجرك سلفاً.

(وليد ينظر حوله وإلى أعلى وهو يرى أن رشا تلاحقه بكاميرتها)

وليـــد : أنا أعترض... هذا الكلام ليس مكتوباً بحوار المشهد... والتصوير هذا غيرموجود.

(يصدح صوت المخرج دون انفعال خاص وبهدوء مشوب بالحكمة)

ص. المخرج: أكمل وليد... فيلمها ليس له قيمة... وإذا أساء لنا... نمنعه... نتلفه المهم نكمل، سجل هذه اللحظة التي لا تنسى.

(في هذه الأثناء يقترب وليد من رشا يقدم لها الزهور فترميها، يزيح الكاميرا التي بيدها ويحاول ضمها، تحاول المقاومة، يسمع صوت المخرج):

ص. المخرج: تابع يا وليد... النهاية... يجب أن تكون سعيدة...
رشـــا : ابتعد عني... ارفع يديك الوسختين عني...
ص. المخرج: (بانفعال) لا ترد عليها... صوروا... لا تتوقفوا...

ص. مساعدة المخرج: والكلاكيت؟!

ص. المخرج: لا ضرورة للكلاكيت... سيكون مشهداً مدهشاً.

(في هذه الأثناء يجري ما يشبه الملاحقة الراقصة حيث يهاجم وليد رشا تارة فتنقض بكاميرتها باتجاهه فيتراجع وهو يحاول إخفاء وجهه)

رشـــا : لا تستر وجهك... دع الجميع يراه.

(يحاول وليد مهاجمة رشا وضمها إلى صدره ولكنها تدفعه بقسوة فيتعثر بالحقائب ويسقط،رشا تضحك بفرح وتتابع تصويره، ينهض ويلتقط الزهور)

وليـــد : كفى... لم أعد أريد أن أشارك بهذه المسخرة... خذي الورود...

(يرمي بالورد باتجاهها ويندفع خارجاً، تلاحقه رشا قليلاً ثم تتوقف وتوجه الكاميرا إلى باقة الزهور)

ص. المخرج: خذي الباقة... ارفعيها عن الأرض.

(تنتفض رشا وتبعد الكاميرا عن عينيها، تنظر حولها ثم إلى أعلى)

رشـــا : ما زلت هنا؟ أخيراً بقينا لوحدنا؟ أنا وأنت... بإمكانك أن تظهر... وتريني وجهك.

ص. المخرج: يكفي تخريف... ليس عندنا وقت... يجب أن ننهي الفيلم.

رشـــا : لم تعد تفيدك مساعدتك.. هربت... آلة التصوير بيدي... أنا التي ستلاحقك الآن.. أنا التي ستفسد حياتك.

ص. المخرج: أسكتوا هذه المجنونة...أحضروا ممثلة بديلة لها.

رشـــا : بهذه أخطأت... لا يوجد بديلة لي... لا يوجد بدلاء لأحد...

(في هذه الأثناء تظهر بعض شخصيات المسرحية ولكن تبقى في الظلام حول مكان بقعة الضوء حيث رشا وحقيبتها)

رشـــا : لا يوجد أحد يشبه أحداً... ولا مصير أحد يشبه أحداً... هذا الشيء موجود فقط في خيالك المريض...

ص. المخرج: سأمضي...غداً عطلة... للجميع...

(تسمع أصوات صاخبة، إقفال أبواب، إغلاق خزائن، صرير أسلاك معدنية تختلط الأصوات بلغط مجموعة كبيرة من الناس، اللغط غير مفهوم رغم أنه هادئ...)

رشـــا : ما الذي حدث؟ أريني الخيبة عليك... خائف؟... أين ذهبت؟ اظهر إن كنت رجلاً... دعني أرى قوتك وسلطتك... أرني.

(يسود الصمت فجأة ويسود الظلام إلا في البقعة حيث رشا... تمسح رشا وجهها وعنقها بمنديل، تجلس على الحقيبة وهي تتمتم بعد لحظة صمت):

رشـــا : وهكذا... ذهبت الفرصة... الفرصة الأخيرة... الأخيرة...

(يرن جرس الهاتف، يرن جرس الباب، يسمع قرع على الباب، تتصاعد أصوات الشارع، باعة جوالون،

سيارات، صوت آذان وصوت أجراس كنيسة وأصوات هتافات بعيدة، أصوات أطفال يغنون ورجال يتشاجرون...

تتداخل الأصوات وترتفع بصخب... ترفع رشا رأسها وتنظر حولها... تمسك بآلة التصوير وتوجه العدسة إلى وجهها، ما أن تبدأ الكلام حتى تنخفض الأصوات تدريجياً وسرعان ما تختفي...

رشـــا : لم يبق سواي... أنا رشا... مشروع فاشل لمخرج... مشروع فاشل لامرأة... مشروع فاشل لمثقف... مشروع فاشل... (تصمت) مشروع فاشل لإنسان؟... لا... لن... لا... لا...

(يسود الظلام)

- نهاية المسرحية -